جامعة الأزهر
Al-Azhar University

"هل" في اللغة والقرآن الكريم

دكتور/ صلاح حبيب سليمان
أستاذ البلاغة والنقد، ووكيل كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج لشئون التعليم والطلاب، جامعة الأزهر، مصر.

العام الجامعي: ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

"هل" في اللغة والقرآن الكريم

صلاح حبيب سليمان
قسم: البلاغة والنقد، في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: salahhabib.79@azhar.edu.eg

ملخص البحث: البحث يدور حول هذا الحرف، واستعمالاته في اللغة والقرآن الكريم، وتتبع أصل وضعه، وهل كان لغير الاستفهام، ثم نقل إلى الاستفهام، ثم متى يخرج عن الاستفهام إلى غيره من معاني النفي والتقرير، والتمني، والتعجب...؟ وكذلك يدور البحث حول الفرق بين المعاني التي يدخلها هذا الحرف والمعاني التي تدخلها الهمزة إذا كانت للتصديق، وكذلك حول عدد مرات ورود هذا الحرف في القرآن الكريم، وكم مرة كان استعماله فيه حقيقا؟ وكم مرة كان استعماله مجازيا؟ وهل هو مختص بالدخول على الجملة الفعلية، أو يدخل كذلك على الجملة الاسمية؟ وكم مرة دخل في القرآن الكريم على الجملة الفعلية، وكم مرة دخل فيه على الجملة الاسمية؟ مع تطبيق ذلك على الشواهد الشعرية والآيات القرآنية، وتحليلها، وقد سلك الباحث في بحثه: المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وقد توصل الباحث لعدة نتائج جاء من أهمها: أن هل لا تدخل إلا على المثبت، وتدخل على الجملتين الفعلية والاسمية، إلا أن الأصل فيها دخولها على الفعلية، ولا يجوز تقديم الاسم بعد أي حرف من حروف الاستفهام؛ وذلك إذا اجتمع الفعل مع الاسم في الجملة المستفهم عنها.

الكلمات المفتاحية: هل، القرآن الكريم، اللغة العربية.

"Hal" in Language and the Holy Quran

Salah Habib Sulaiman
Department: Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag, Al-Azhar University, Egypt.
Email: salahhabib.79@azhar.edu.eg

Abstract: This research focuses on the particle "Hal" and its uses in the Arabic language and the Holy Quran. It traces its origin and initial placement, exploring whether it was originally used for purposes other than interrogation before being primarily associated with questions. The study then investigates when "Hal" deviates from its interrogative function to convey other meanings such as negation, affirmation, wishes, exclamatory, and more.The research also delves into the differences between the meanings conveyed by "Hal" and those conveyed by "Hamza" when used for affirmation (tasdeeq). Furthermore, it examines the total occurrences of "Hal" in the Holy Quran, distinguishing between its literal and figurative uses. The study also investigates whether "Hal" exclusively precedes verbal sentences or if it can also introduce nominal sentences, providing statistics on its occurrences with both types of sentences in the Quran.The research applies its findings to poetic evidence and Quranic verses, offering detailed analysis. The researcher employed an inductive, descriptive, and analytical methodology. Among the key findings, the study concludes that "Hal" only introduces affirmative statements and can precede both verbal and nominal sentences, though its primary function is with verbal sentences. It also found that a noun cannot precede any interrogative particle when both a verb and a noun are present in the questioned sentence.

Keywords: Hal, Holy Quran, Arabic Language.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي، وأسلم، على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى، واقتدى، إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن "هل" حرف من حروف الاستفهام، كثر وروده في القرآن الكريم، وفي اللسان العربي، يدخل تارة على الجملة الفعلية، وأخرى على الجملة الاسمية، وقد ورد دخوله على الجملة الاسمية بكثرة في القرآن الكريم، مع أن الأصل فيه – وفي أدوات الاستفهام كلها – الدخول على الأفعال، شأنها في ذلك شأن أدوات الشرط، فدخولها على الأسماء عدول عن ذلك الأصل؛ ولذلك قال البلاغيون عنه: لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ.

ثم إن وقوف البلاغيين من مدرسة السكاكي والخطيب – رحمهما الله – على هذا الحرف لم يكن وافياً؛ حيث اقتصر حديثهم عنه على كونه لطلب التصديق، وأن أصله بمعنى "قد"، وأنه يخصص المضارع بعده للاستقبال؛ ولذلك كان له مزيد اختصاص بما هو زمانيٌّ كالفعل أظهر.

وسكتوا عن الإشارة إلى كثرة وروده داخلاً على الجملة الاسمية في القرآن الكريم، كما سكتوا عن بيان الفرق بين المعاني التي يدخلها والمعاني التي تدخلها الهمزة إذا كانت للتصديق، وكأنهما صالحان لأن يتناوبا على كل معنىً يكون السؤال فيه عن النسبة.

ومن هنا كان البحث عن هذا الحرف، عن أصل وضعه، وكيف نقل إلى الاستفهام، ثم البحث عن الفرق بين المعاني التي يدخلها هذا الحرف والمعاني التي تدخلها الهمزة إذا كانت للتصديق، وكذلك البحث عن المعاني التي خرج إليها في اللغة والقرآن، ثم عن عدد مرات وروده في القرآن الكريم، ومرات

دخوله فيه على الاسم، ومرات دخوله فيه على الفعل، وكذلك البحث عما إذا كان قد ورد فيه بمعناه الحقيقي، أو كل ما ورد فيه جاء خارجاً عن هذا المعنى، ومتى يكون حقيقياً فيه؟، ومتى يكون غير ذلك؟، ثم الوقوف على المعاني التي خرج إليها فيه بالتحليل...

وعلى الله قصد السبيل

د/ صلاح حبيب سليمان

هل

بين الأصالة والاستعمال

"هل" حرف من حروف الاستفهام، والاستفهام: اسْتِفْعالٌ من الفَهْمِ، بمعنى طلب الفَهْمِ، وقد عرَّفه البلاغيون بأنه: طلبُ حُصُولِ صُورَةِ الشَّيءِ المُسْتَفْهَمْ عنهُ فِي ذِهْنِ المُسْتَفْهِمِ(١).

والصورة المطلوبُ فهمُها بالاستفهام إما صورةُ نسبةِ المسندِ للمسند إليه، أهي مطابقة للواقع؟ أم غير مطابقة؟، وإما صورةُ أحدِ رُكْنَي الإسنادِ – المسند أو المسند إليه – أو صورةُ جزءٍ من مُتَمِّمات الجملة، كالمفعول، والظرف، والجار والمجرور، والحال، وغير ذلك...

فإن كان المستفهَم عنه صورةَ النسبة، كان الاستفهام للتصديق، والتصديق يحصل عند المستفهِم بسماع الجواب من المُسْتَفْهَم منه، أو من المسؤول.

وإن كان المستَفْهَم عنه أحدَ رُكْنَي الإسنادِ، أو جزءاً من مكملات الكلام، كان الاستفهام للتصور، والتصور يتم أيضاً بمعرفة الجواب من المخاطب.

جاء في شروح التلخيص: فإن كانت الصورةُ التي طُلِبَ حصولُها في الذهن وقوعَ نسبةٍ بين أمرين، أو لا وقوعَها، أي: مطابقتها للواقع، أو عدم مطابقتها، فحصولُها، أي: إدراكها، هو التصديق، وإن لم تكن الصورة وقوعَ نسبة، أو لا وقوعَها، بل كانت تلك الصورة موضوعاً، أو مَحْمُولاً، فحصولها هو التصور(٢).

فالاستفهام طلب إدراك صورة النسبة بين طرفي الإسناد، أو طلب إدراك صورة أحد الطرفين، أو طلب إدراك صورة شيء آخر في الجملة،

---

(١) راجع: المطول ص٤٠٩، والمختصر، ومواهب الفتاح "ضمن الشروح" ٢٤٦/٢.

(٢) راجع: المطول ص٤٠٩، والمختصر، وحاشية الدسوقي "ضمن الشروح" ٢٤٦/٢.

وإدراك صورة المستفهَم عنه يتحقق بجواب المسؤول، ويسمى في الأول تصديقاً، وفي الثاني تصوراً.

فإذا قلت: أقام زيدٌ؟ فقد تصورت القيام، وزيداً، والنسبةَ بينهما، وسألت عن وقوع النسبة بينهما، أهو محقق خارجاً، أم لا؟، فإذا قيل: نعم، أو لا، حصل التصديق، والحاصل – كما يقول شُرَّاح التلخيص رحمهم الله – أن السائل عالم بأن بينهما نسبةً ملتبسة بالوقوع، أو اللا وقوع، ويطلب تعيين ذلك(١).

وكذلك إذا قلت: أعمروٌ قام أم عليٌّ؟ فقد تصورت القيام، وعمراً، وعلياً، وأدركت أن القيام قد تَمَّ من واحد منهما، لكنك لم تستطع تحديدَ أيٍّ منهما الذي قام؛ ولذلك سألت عن الفاعل، أهو عمروٌ أم عليٌّ؟، فإذا قيل لك: عليٌّ، فقد حصل التصور.

وتقول: أكتب خالدٌ أم قرأ؟، وتقول: أخالد حضر أم محمد؟، وتقول: أعلياً أكرم محمدٌ أم عمراً؟، وتقول: أعند المسجد نلتقي أم عند البيت؟، وتقول: أيوم الجمعة حضر عمروٌ أم يوم السبت؟، وتقول: كم كتاباً قرأتَ؟، و: كيف جئتَ؟، و: متى كان ذلك؟، و: أين نلتقي؟، و: ما الذي أخَّرَك؟، وأيانَ يومُ الامتحان؟.... ويحصل لك التصور بالإجابة عن هذه الأسئلة.... وهكذا.

والسائل حينما يسأل عن جزء من أجزاء الجملة لا يسأل عنه إلا وهو يعلم الباقي، فحينما تسأل: أين ذهب عليٌّ؟، لا تسأله إلا وأنت تعرف علياً، وتعلم أن ذهاباً إلى مكان ما قد حدث منه، وتعلم يقيناً أن نسبة الذهاب إليه ثابتة واقعة، ولكنك تجهل المكان الذي تحققت نسبة الذهاب إلى عليٍّ فيه، وكذلك حينما تستفهم: متى جاء عمروٌ؟ لا تنطق به إلا وأنت تعرف عمراً،

---

(١) راجع: الشروح٢/٢٤٦.

وتعرف أنه قد جاء، وتقطع بنسبة وثبوت المجيء له، ولكنك لا تعرف الزمان أو الوقت الذي تمت نسبة المجيء فيه لعمرو هذا.

وللاستفهام إحدى عَشْرَةَ أداةً، هي: الهمزة، وهل، وما، ومَنْ، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنَّى، ومتى، وأيّان.

فالهمزة لطلب التصديق والتصور، ويجاب عنها إذا كانت للتصديق بـــ"نعم"، أو لا، وإذا كانت للتصور بالنَّصِّ على المسؤول عنه.

و"هل": لطلب التصديق فقط، ويجاب عنها بـــ"نعم"، أو لا، وباقي الأدوات لطلب التصور، ويجاب عنها بذكر المسؤول عنه.

والهمزة هي الأصل، وهي أم الباب – كما يقولون – وما عداها نائب عنها، وتدخل على الفعل وعلى الاسم على حدٍّ السَّواء، ويليها المستفهَم عنه في التصور، ولا يتقدمها عاطفٌ، من أحرف العطف الثلاثة "الواو، والفاء، وثم"، وإنما تتقدم هي عليها؛ لأنها ضاربة بجذورها في الاستفهام، ومتأصلة فيه، والاستفهام له حق الصدارة، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ الأعراف: ٩٧ : ١٠٠، فقد دخلت همزة الاستفهام في الآيات الأربع على الفاء، والواو، والفاء، والواو، على الترتيب.

وقال سبحانه: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ يونس:٥١، إذ قد دخلت همزة الاستفهام على "ثم"، وهذه الآية تعدُّ فريدة من فرائد القرآن الكريم، حيث لم تأت همزة الاستفهام داخلة على "ثم" في غيرها من آي الكتاب العزيز.

ونظراً لطروء الاستفهام على "هل" – كما سنرى – وعدم تأصلها فيه، وضعفها عن الهمزة في بابه، فإن أحرف العطف تتقدمها، ولا تتقدم هي عليها، قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩، وقال سبحانه:﴿ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ سبأ: ١٧، وقال جلَّ شأنه:﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ ص: ٢١، ولا يوجد لتقدم واو العطف عليها في كتاب الله إلا هذه المواضع الثلاثة.

أما تقدم الفاء عليها، فهو كثير، حيث تقدمت عليها في ثلاثٍ وعشرين آية، هي على الترتيب حسب الورود في المصحف الشريف: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: ٩١، وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ﴾الأعراف: ٤٤، وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾الأعراف: ٥٣، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ يونس: ١٠٢، وقوله تعالى:﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ هود: ١٤، وقوله تعالى:﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾إبراهيم: ٢١، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النحل: ٣٥، وقوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ الكهف: ٩٤، وقوله تعالى:﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

﴿ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٨٠، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٨، وقوله تعالى: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فاطر: ٤٣، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ غافر: ١١، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ غافر: ٤٧، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف: ٣٥، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ محمد: ١٨، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ محمد: ٢٢، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٥، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ٥١، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ الحاقة:٨.

وأما تقدم "ثم" عليها، فلم يرد منه في القرآن العظيم شيء، وقد ورد منه في الشعر قول الكُمَيْت:

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ ثُمَّ هَـلْ آتِيَـنْهُمْ ∴ أمْ يَحُـولَنْ مِـنْ دونِ ذاكَ حِمـامِي

وتَكرارها في البيت من باب توكيد الحرف(١).

---

(١) راجع: شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي٣/٤٤٦، والكافية لابن الحاجب صـ٥٥، وشرح التسهيل لابن مالك٣/٣٠٢، وشرح ألفية بن مالك للشاطبي٥/٣١.

والهمزة تدخل على الكلام المثبت، كما في: أقامَ عمروٌ؟، و: أَذَهَبَ محمدٌ؟، وتدخل على الكلام المنفي، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ الأنعام: ٣٠، وقوله تعالى:﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ الأنعام: ٥٣، وقوله تعالى:﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ البقرة: ٣٣، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ البقرة: ٢٥٨، وقوله تعالى:﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾آل عمران: ١٢٤... إلى غير ذلك.

أما "هل"، فلا تدخل إلا على المثبت، تقول: هل حضر عليٌّ؟، و: هل زيدٌ حاضرٌ؟، ولا تدخل على النفي، فلا يقال: هل لا قام زيد؟، ولا: هل لم يحضر عليٌّ؟؛ لأنها في الأصل بمعنى "قد"، و" قد" لا تدخل على النافي – كما يقول العصام رحمه الله – فلا يقال: قد لا يقوم زيد، وعدم دخولها على المنفي لا ينافي أنها لطلب التصديق مطلقاً الإيجابي والسلبي، فيجوز أن يقال: هل قام زيد؟ أو لم يقم؟... فإن كان النفي بـــ"إِنْ "، نحو: إنْ زيدٌ قائمٌ، فلا تصلح له الهمزة ولا هل؛ إذ لم يحفظ من لسانهم – كما يقول ابن عقيل رحمه الله – أَإِنْ زيدٌ قائم؟ ولا: هل إنْ زيدٌ قائم؟؛ ويصلح دخول الاثنتين على الجملة المنفي خبرها بـــ"غير"، فيقال في: زيدٌ غيرُ قائم: أزيدٌ غيرُ قائم؟ و: هل زيدٌ غيرُ قائم؟[(١)].

والهمزة لا يستفهم بها – كما يقولون – حتى يَهْجِسَ في النفس إثباتُ ما يُستفهم عنه، بخلاف "هل"، فإنه لا يترجح عنده نفيٌ ولا إثبات[(٢)].

---

(١) راجع: الأطول لعصام الدين الإسفرايني١/٢٣٦، وحاشية الدسوقي "ضمن شروح التلخيص"٢/٢٥٥، والجنى الداني في حروف المعاني صـــ٣٤١، ومغني اللبيب لابن هشام٢/٤٥٧، والمساعد على تسهيل الفوائد٣/٢١٢.

(٢) راجع: البديع في علم العربية لمجد الدين بن الأثير٢/٢١٨، والجنى الداني صـــ٣٤١، وعروس الأفراح "ضمن الشروح"٢/٢٧١.

وعليه فإنك لا تقول: أحضر عليٌّ؟، إلا وقد غلب في نفسك إثبات الحضور له، فإذا قلت: هل حضر عليٌّ؟، فإنه لا يترجح عندك إثبات الحضور له ولا نفيه عنه، وإنما يتساوى عندك الأمران.

يقول سيبويه رحمه الله: "إذا قلت: هل تضرب زيداً؟، فلا يكون أن تدَّعي أن الضرب واقعٌ، وقد تقول: أتضرب زيداً؟ وأنت تدَّعي أنَّ الضرب واقعٌ"(١).

ومعناه أنك إذا سألت بـــ"هل"، فقلت: هل تضرب زيداً؟، لا تقوله إلا وأنت لا تتوقع أن الضرب سيقع من المخاطب على زيد، وإذا سألت بالهمزة، فقلتَ: أتضرب زيداً؟، فلا تقوله إلا وأنت تتوقع أنه سيضربه.

وعليه، فالفرق بين الهمزة و"هل" إذا أريد بهما التصديق، أن الهمزة تأتي عندما يترجح إثبات المستفهَم عنه – أو إثبات نسبة المسند للمسند إليه – و"هل" تأتي عندما لا يترجح إثبات النسبة ولا نفيها، وإنما يتساوى الأمران عند السائل.

ويقاس على ذلك أنك لو قلت في التصور بالهمزة: أعليٌّ حضر أم محمدٌ؟ لا تقوله إلا في حال ترجيح إثبات الحضور لعلي على إثباته لمحمد، فإذا عكست، وقدمت محمداً على عليٍّ، فقلت: أمحمدٌ حضر أم عليٌّ، فإن الترجيح يكون حينئذ لحضور محمد على حضور عليٍّ.

ومن هنا ينكشف لي جواب سؤالٍ، كان قد دار في خَلَدِي منذ وقت ليس بالقصير، وهو: أيوجد فرقٌ بين الهمزة و" هل" في السؤال عن النسبة – أو إذا كانتا للتصديق – غير أن الهمزة أوجز من "هل" لبنائها على حرف واحد، وبناء "هل" على حرفين؟.

والهمزة تدخل على الجملة المؤكدة بـــ" إنَّ"، كما في قوله تعالى:

---

(١) راجع: الكتاب لسيبويه٣/١٧٦.

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ يوسف: ٩٠، بخلاف "هل"[١].

والاستفهام حينئذ يكون عن مضمون تلك الجملة المؤكدة، أو عن تلك النسبة المؤكدة، أهي ثابتة بتوكيدها، أم منفية؟، وليس عن الجملة أو النسبة بدون توكيد، أي: السؤال عن إنه ليوسف، وليس عن كونه يوسف أم لا، وما ذلك إلا لشدة يقينهم بأنه يوسف.

والهمزة تدخل على الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٤، وقوله تعالى: ﴿ أَءِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ يس: ١٩، بخلاف "هل"، فإنها لا تدخل على الشرط؛ إذ لم يسمع عنهم ولا يصح أن يقال: هل إنْ حضر عليٌّ[٢].

والهمزة ترد للإنكار، والتوبيخ، والتعجب، بخلاف "هل"، تقول: أتخرج في هذا الوقت؟!، فتنكر عليه ادعاء الخروج في وقت لا يستطيع أحد الخروج فيه، وتتعجب من عزمه على الخروج، وتوبخه على ذلك العزم، ولا يصح أن تقول: هل تخرج في هذا الوقت؟، وأنت تريد شيئاً من المعاني الثلاثة[٣]، وإن كان بعض المفسرين قد حملها على هذه المعاني في بعض السياقات، كما سنرى.

و" هل" تدخل على الجملتين الفعلية والاسمية؛ إلا أن الأصل فيها – وفي باقي أدوات الاستفهام – دخولها على الفعلية، كأدوات الشرط، تقول في دخولها على الفعلية: هل قام زيدٌ ؟، وتقول في دخولها على الاسمية: هل عمروٌ قاعدٌ ؟؛ وذلك إذا كان المطلوب حصول التصديق بثبوت القيام لزيد والقعود لعمرو، أو نفيهما عنهما؛ لذا لا تأتي بعدها "أم" المتصلة؛ ولذلك

---

(١) راجع: الجنى الداني صـ٣٤١، ومغني اللبيب٢/٤٠٤.

(٢) راجع: مغني اللبيب٢/٤٠٤.

(٣) راجع: الجنى الداني صـ٣٤١.

امتنع: هل زيد قائم أم عمرو؟؛ لأن "أم" هنا وقع بعدها مفرد، فدل على كونها متصلة، والمتصلة تكون لتعيين أحد الشيئين المنبهم مَن وقعت منه النسبة منهما بعد العلم بثبوت أصل تلك النسبة، و"هل" إنما تكون لطلب أصل النسبة، فمقتضاها جهل أصل النسبة؛ إذ لا يُسأل عن معلوم، ومقتضى "أم" المتصلة العلم بها، فَتَنَافَيَا، والصواب: هل زيد قائمٌ أو عمروٌ؟ بأو، وليس بأَم، ويصح اعتبار "أم" هذه منقطعة، فيكون المعنى: بل عمرو قائمٌ، بتقدير المفرد المذكور جزءاً من جملة، وبهذا يستقيم الكلام.

وتأتي بعدها "أم" المنقطعة، وهي التي تدخل على جملة، وتكون بمعنى "بل" التي للإضراب، تقول: هل أكرمتَ عمراً؟ أم ضربتَه؟، والمعنى: بل ضربتَه، ونقل الدسوقي عن ابن مالك – رحمهما الله– أن هل تقع موقع الهمزة، فيؤتى لها بمعادل مثلها مستدلاً بقوله – صلى الله عليه وسلم –: هل تزوجت بكراً أم ثيباً[1].

ويجوز فيها مع "أم" المنقطعة ألا تُعاد، استغناءً بدلالة العاطف على التشريك، نحو: هل قام زيد؟ أم خرج عمروٌ؟، ويجوز أن تُعاد توكيداً؛ لأنه لا يمتنع دخول العاطف عليها نحو: هل قام زيد؟ أم هل خرج عمرو؟ قال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ الرعد: ١٦، فجُمع بين الاستعمالين، حيث أعيدت مع "أم" الأولى، ولم تُعد مع الثانية، ولا يخفى أن المعنى: بل هل تستوي الظلمات والنور، بل جعلوا لله شركاء...

---

(١) راجع: الإيضاح ٥٧/٣، ومختصر السعد، ومواهب الفتاح "ضمن شروح التلخيص" ٢٥٥/٢، وحاشية الدسوقي "ضمن الشروح"٢٠٣/١، وشرح الكتاب لأبي سعيد السيرافي٤٠٦/١، وشرح ألفية ابن مالك للشاطبي١٠٢/٥، وشرح المفصل لابن يعيش٢١٧/١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش٤٤٧٢/٩.

كما جُمِعَ بين الاستعمالين أيضاً في قول علقمة بن عبدة:

هَلْ مَا عَلِمْتَ ومَا استُودِعْتَ مَكْتُومُ ∴ أمْ حَبْلُهـا إذْ نَأَتْـكَ اليـومَ مَصْـرُومُ

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْـضِ عَبْرَتَـهُ ∴ إِثْـرَ الأَحِبَّـةِ يَـومَ البَـيْنِ مَشْـكُومُ

إلا أنها لم تُعَدْ مع "أم" الأولى، وأُعِيدت مع الثانية، عكس ما جاء في الآية السابقة(١).

يقول ابن مالك رحمه الله: "ولأصالة الهمزة استأثرت بتمام التصدير، فدخلت على الواو، والفاء، وثم، ولم يدخلن عليها، ولم تُعَدْ بَعْدَ أم، بخلاف "هل" وسائر أخواتها، ويجوز ألا تعاد "هل" لشبهها بالهمزة في الحرفية، وأن تعاد لشبهها بأخواتها في عدم الأصالة(٢).

و"هل" تخصص المضارع بعدها بالاستقبال، كالسين وسوف؛ لأن حصول المستفهم عنه ينبغي أن يكون استقبالياً؛ إذ لا يُستفهم عن الواقع في الحال، فلا يصح – كما يقول الخطيب رحمه الله – أن يقال: هل تضرب زيداً، وهو أخوك؟، كما يصح: أتضرب زيداً، وهو أخوك؟، ووجه عدم صحة الأول وصحة الثاني – كما يقول ابن يعقوب رحمه الله – أن تقييد الضرب بالأخوة يفيد شيئين: أحدهما الإنكار؛ لأن مِن أنكرِ المَنَاكِرِ ضربَ الأخ صداقةً أو نسباً، والآخر حالية الضرب؛ لأن الأخوة حالية؛ إذ لا يراد استقبالها ولا مضيها؛ لأن الاستفهام الإنكاري لا يناسبه عرفاً إلا الحال؛ إذ لا معنى لقولنا: أتضرب زيداً، وهو سيكون لك أخاً؟، وقد يعني: وهو عدو الآن إلا على تعسف، وإذا كانت حالية، وهي قيد في الفعل أفادت إرادة الحال في

---

(١) راجع: الكتاب لسيبويه٣/١٧٨، والمقتضب للمبرد٣/٢٩٠، والأصول في النحو لابن السراج ٢/٥٩، وشرح التسهيل لابن مالك٤/١١٢، وشرح ألفية ابن مالك للشاطبي٥/١٠٣.

(٢) راجع: تسهيل الفوائد لابن مالك صـــ٢٤٣.

الفعل، لمقارنة الحال بقيدها، ولما كان هذا هو الكثير في استعمال هذه الجملة عرفاً، زاد "وهو أخوك"؛ ليدل على إرادة الحال في الفعل، وإذا كان المراد به الحال، وهو ينافي مفاد "هل" في المضارع، وهو الاستقبال، فلم يصح أن يقال ما ذكر، كما يصح: أتضرب زيداً وهو أخوك؟؛ لأن الاستفهام بالهمزة يصح فيه إرادة الحال ومعناها الإنكار، بمعنى لا ينبغي أن يقع منك الضرب... وكل فعل مضارع أريد به الحال امتنع دخول "هل" عليه، سواء قيد بجملة حالية أو لا، كقوله تعالى : "أتقولون على الله ما لا تعلمون"، وكذلك: أتؤذي أباك؟، و: أتشتم الأمير... فهذه المواضع وأمثالها ليست مواضع لـــ"هل"؛ لأن المراد بالفعل فيها الحال، وهي تخلصه للاستقبال، وليس شرطاً أن يقترن الفعل بجملة الحال(١).

و"هل" لما كانت للتصديق وتخصيص المضارع بالاستقبال، كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانياً أظهر؛ فكان دخولها على الأفعال أكثر؛ لأن الفعل لا يكون إلا صفة، والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء، والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات، التي هي مدلولات الأفعال بالأصالة، لا إلى الذوات، التي هي مدلولات الأسماء؛ ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٨٠] أدل على طلب الشكر من قولنا: "فهل تشكرون؟ "، وقولنا: "فهل أنتم تشكرون؟؛ لأن إبراز ما سيتجدد في مَعْرِضِ الثابت أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله. وكذا من قولنا: "أفأنتم شاكرون؟"، وإن كانت صيغته للثبوت؛ لأن "هل" أدعى للفعل من الهمزة، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله؛ ولهذا لا يحسن: هل زيد منطلق؟ إلا من البليغ(٢).

---

(١) راجع: مواهب الفتاح "ضمن الشروح" ٢٦٢/٢.

(٢) راجع: الإيضاح ٥٧/٣.

وإنما كان: هل زيد منطلق لا يحسن إلا من البليغ لأن الأصل: هل ينطلق زيد، ثم عدل عنه إلى المذكور لإبراز ما سيقع في صورة الواقع للدلالة على كمال العناية بحصوله، وإنما كان هذا الأسلوب لا يحسن إلا من البليغ؛ لأن البليغ هو الذي يتأتى له مراعاة الاعتبارات وإفادة اللطائف بالعبارات، فيعتبر أن هل زيد منطلق لإبراز المتجدد في معرض الحاصل لشدة الاعتناء بشأنه، وغير البليغ ولو اتفق له مراعاة ما ذكر في وقتٍ، فلا يحسن؛ إذ هو بمثابة الأمور الاتفاقية الحاصلة بلا قصد، وربما كان ذلك منه عن جهل، لا عن نظر إلى معنىً لطيف(١).

وإذا اجتمع في الجملة مع "هل" الاسم والفعل، كأن تقول: هل حضر زيدٌ؟ و: هل قَدِمَ عمروٌ؟، و: هل ضربتَ بكراً؟، و: هل أكرمتَ خالداً؟، قَبُحَ تقديم الاسم، بل لا يجوز تقديمه إلا في ضرورة الشعر؛ لأن الأصل في "هل" دخولها على الأفعال، ويجب حينئذ تقديم الفعل على الاسم مراعاة لذلك الأصل، يقول سيبويهَ رحمه الله: "فإن قلتَ: هل زيداً رأيتَ؟، وهل زيدٌ ذَهَبَ؟ قَبُحَ، ولم يجُزْ إلاّ في الشعر؛ لأنّه لمّا اجتمع الاسمُ والفعلُ حَمَلُوهُ عَلى الأَصْلِ"(٢).

ثم عمَّمَ – رحمه الله – هذه القاعدة – وهي قبحُ دخول "هل" على الاسم إذا كان بعده فعل وعدم جوازه إلا في الشعر – فجعلها شاملة لجميع أدوات الاستفهام، يقول في موضع آخر: "واعلم أن حروف الاستفهام كلَّها يقبح أن يصيرَ بعدها الاسمُ، إذا كان الفعلُ بعد الاسم، لو قلت: هل زيدٌ قام؟، وأينَ زيدٌ ضربتَه؟، لم يَجُزْ إلاَّ في الشعر"(٣).

---

(١) راجع: الإيضاح٣/٦٠، والمطول صـــ٤١٣، ومختصر السعد، ومواهب الفتاح، وحاشية الدسوقي "ضمن الشروح"٢/٢٦٢.

(٢) راجع: الكتاب لسيبويه١/٩٩.

(٣) راجع: السابق١/١٠١.

ثم يقرر – رحمه الله – هذه القاعدة مرة أخرى في موضع ثالث من الكتاب، فيقول: "واعلم أنه إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام نحو "هل، وكيف، ومَن" اسمٌ وفعلٌ، كان الفعل بأن يليَ حرفَ الاستفهام أَوْلَى؛ لأنها عندهم في الأصل من الحروف التي يذكر بعدها الفعل"(١).

وإنما قبح ما كان مثل قولهم: هل زيداً رأيتَ؟؛ لأن تقديم المفعول يدل على أن السؤال عن المفعول، وهذا معناه أن الفعل واقع، والنسبة محققة، وأن الشك أو الإنكار، في المفعول، وهذا يتنافى مع كونها للسؤال عن النسبة، ويتنافى مع كون أن الأصل فيها وفي جميع أدوات الاستفهام دخولها على الأفعال، ومن المعلوم أن أسلوب تقديم المفعول على الفعل، مع بقائه منصوباً يسمى بالقصر، أو الاختصاص، ولا يخفى أن الاختصاص يستدعي – كما يقول العصام رحمه الله – ثبوت الحكم وخطأ المخاطب في قيد من قيود الكلام، وليس في نسبة المسند للمسند إليه، وإنما قبح هذا، ولم يمتنع، لجواز أن يكون التقديم فيه للاهتمام(٢).

وفي المقابل لم يقبح ما كان مثل قولهم: هل زيداً ضربتَه؟، لجواز أن يكون العامل في المفعول فعلٌ مقدَّرٌ قبله، فيكون من باب الاشتغال، ويكون التقدير: هل ضربتَ زيداً ضربتَه؟ إذ من المعلوم في باب الاشتغال أن الاسم المنصوب قبل الفعل المذكور يكون منصوباً بفعل محذوف، يفسره الفعل المذكور، ويكون الفعل المذكور بمنزلة البدل للفعل المحذوف(٣).

وقد علَّلَ الشُّرَّاح – رحمهم الله – قبح دخول "هل" على الاسم مع وجود الفعل، وعدم قبح دخولها على الاسم في حال عدم وجود الفعل بقولهم: فلأجل

---

(١) راجع: السابق٣/١١٥.

(٢) راجع: شرح ألفية ابن مالك للشاطبي٣/٦٧.

(٣) راجع: الأطول١/٢٣٦.

أنها بمعنى "قد" في الأصل أُدخلت على الفعل دون الاسم كـــ"قد" مراعاة لمعناها الأصلي، ولكن إنما يُراعَى فيها معناها الأصلي في لزوم موالاتها الفعل إذا وجد الفعل في التركيب، وأما إذا لم يوجد أصلاً، رُوعي فيها معنى الاستفهام، الذي نقلت له، فجاز دخولها على الاسم... ثم إنه لما كان الفرع لا يُعطي حكم الأصل من كل وجه، جاز دخول "هل" على الاسم، إما بقبحٍ، إن كان في الجملة فعلٌ، أو بدون قُبحٍ، إن لم يكن فيها فعل، فلا يقبح أن يقال: هل زيدٌ قائمٌ؟، وإنما يقبح، أو يمتنع، نحو: هل زيدٌ قَامَ؟، والفرق بين التركيبين أنها حيث لم تَرَ الفعلَ في حَيِّزها تَسَلَّتْ عنه، ولم تتذكر المعاهدَ والأوطانَ، وأما إذا رأتْهُ أمامَها، فإنها تتذكر المعاهد، وتحِنُّ إلى الأوطان، فلا تجد بُدّاً من معانقته على أصلها، فلا تقبل تفريق الاسم بينها وبين الفعل، الذي هو إِلْفُها(١).

وعليه فلا يقبح أن يقال: هل زيدٌ قائمٌ؟، ويقبح أن يقال: هل زيدٌ قامَ؟؛ لأن عدم وجود الفعل في الأول لا يُذَكِّر "هل" بالفعل، ووجوده في الثاني يذكرها به.

و"هل" يجوز فيها – عند البعض – أن تجتمع مع الهمزة، كما في قول الشاعر:

سائِلْ فَــوَارِسَ يَرْبُــوعَ بِشَــدَّتِنا ∴ أَهَلْ رَأَوْنا بسَــفْحِ القــاعِ ذِي الأَكَــمِ؟

ومنع ذلك بعضٌ، منهم السَّيرافي – رحمه الله – معللين ذلك بأنه من المُحال اجتماعُ حرفَين بمعنى واحد، ورُدَّ بأنهما يجتمعان للتوكيد، أو للضرورة الشعرية، كما في قول الشاعر:

---

(١) راجع: المطول صـــ٤١٢، والأطول١/٢٣٦، والمختصر، ومواهب الفتاح، وحاشية الدسوقي "ضمن الشروح" ٢/٢٦٠.

فَلَا وَاللَّـــهِ لَـــا يُلْفَـــى لِمـــا بِـــي ∴ وَلَـــا لِلمَـــا بِهِـــم أَبَـــدًا دَوَاءُ[1].

حيث اجتمعت اللامان في قوله: لِلما.

وقيل: إن "أَهَلْ" في: أَهَلْ رَأَوْنا بسَفْحِ القاعِ... معناها "أَقَد"، فالهمزة هي التي للاستفهام، و"هل" بمعنى "قد"، وسيأتي تفصيل ذلك.

و"هل" تأتي بسيطة، يسأل بها عن وجود الشيء، أو لا وجوده، كما في قولهم: هل الحركة موجودة؟، أو لا موجودة؟ والبسيط يطلق على: ما لا جزء له، كالجوهر الفرد، أو ما يكون أقل أجزاء بالنسبة لغيره المقابل له، والبساطة بهذا المعنى أمر نسبي، وهذا المعنى هو المراد هنا، وبساطة "هل" وتركيبها بالنظر إلى مدخولها، كالحركة في البسيطة، والحركة والدوام في المركبة، وتأتي مركبة، يسأل بها عن وجود شيء لشيء، كقولهم: هل الحركة دائمة؟ ففي الأول سئل بها عن نسبة الوجود للحركة، وفي الثاني سئل بها عن نسبة وجود الدوام للحركة؛ إذ لا يسأل عن دوام الشيء غير الموجود، أو كما يقول ابن يعقوب رحمه الله: "ولما اعتبر في المسؤول في الأولى وجود نفس الشيء، وفي الثانية وجود نفس شيء لشيء آخر، سميت الأولى بسيطة لباسطة المسؤول عنه فيها، والثانية مركبة لوجود ما اعتبر في الأولى فيها وزيادة، وذلك شأن البساطة والتركيب، فإن قولنا: هل الحركة موجودة المعتبر فيه وجود الحركة، وقولنا: هل الحركة دائمة؟ المعتبر فيه وجود الحركة ودوامها[2].

---

(١) راجع: المقتضب للمبرد١/٤٤، والخصائص لابن جني٢/٤٦٥، والمفصل لابن يعيش٥/١٠١، وشرح ألفية ابن مالك للشاطبي٣/٦٢٢، ٥/١١٢، والجنى الداني صـــ٣٤٤.

(٢) راجع: الإيضاح ٣/٦١، ومواهب الفتاح "ضمن الشروح"٢/٢٧٢.

و"هل" قد تبدل هاؤها همزة، فيقال: أَلْ قام زيد؟ مكان: هَلْ قام زيد؟[١].

"هل" بين الاستفهام، ومعنى "قد":

لا خلاف بين العلماء في كون "هل" أداة من أدوات الاستفهام، إلا أنها قد تخرج – كغيرها من ألفاظ وتراكيب اللغة– عن الاستفهام لمعانٍ أخرى، كالتقرير، والتوبيخ، والنفي، وإنما الخلاف في أصل وضعها، وهل هي متأصلة في الاستفهام؟، أو دخيلة عليه؟.

فمن العلماء من قال: إنها ليست متأصلة في الاستفهام، وإنما هي دخيلة عليه، وأصل معناها "قد"، والاستفهام مفادٌ من همزة مقدرة قبلها، فأصل تركيبها: أَهَلْ؟، بمعنى: أَقَدْ، فإذا قلتَ: هل جاء عمروٌ؟، فأصله: أَهَلْ جاء عمرو؟ بمعنى: أَقَدْ جاء؟ ثم تركت الهمزة قبلها، لكثرة مجيئها في الاستفهام، ثم حلَّت محلَّ همزة الاستفهام.

بينما سكت فريقٌ من العلماء عن هذا، وتحدثوا عن "هل" باعتبار ما صارت إليه، أو باعتبار وضعها الحالي، من حيث إنها حرفٌ ثنائيٌّ، من حروف الاستفهام.

فممن قالوا بأنها بمعنى "قد"، وأنها في الأصل مسبوقة بهمزة الاستفهام، وأن أصلها "أَهَلْ" سيبويه – تـــ١٨٠ هـــ رحمه الله – حيث قرر هذا في الكتاب في أكثر من موضع، يقول: "أَما هَلْ، فإنّما هي بمنزلة " قد"، ولكنّهم تركوا الألفَ – يعني همزة الاستفهام قبلها– استغناءً؛ إذ كان هذا الكلامُ – أي: مجيء هل – لا يقَعُ إلاّ في الاستفهام" [٢].

وقال في موضع آخر "وكذلك "هل" إنمَّا تكون بمنزلة "قد"، ولكنهم تركوا

---

(١) راجع: المقتضب، وتسهيل الفوائد لابن مالك صـــ٢٤٣، وشرح التسهيل له أيضاً ١١٢/٤، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٦٠٧/٢.

(٢) راجع: الكتاب لسيبويه١/١٠٠.

الألف إذ كانت "هل" لا تقع إلاَّ في الاستفهام(١).

فهو يرى أن "هل" بمنزلة "قد" مسبوقة بهمزة الاستفهام، ثم لما كثر مجيئُها في مواضع الاستفهام، أسقطت الهمزة، واكتفي فيه بـــ"هل".

وهذا الحكم، وهو تقدير همزة الاستفهام قبل "هل"، ثم حذفها لكثرة استعمالها في الاستفهام، ليس خاصاً عند سيبويه – رحمه الله – بـــ"هل" وحدها، وإنما هو شامل لكلِّ أدوات الاستفهام الأخرى، يقول رحمه الله: "وإنّما تركوا الألفَ في مَنْ، ومتَى، وهَلْ، ونحوهن حيث أمنوا الالتباس، ألا ترى أنك تُدخلها على "مَنْ" إذا تمَّتْ بصلتها، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فصلت: ٤٠"(٢).

وكأنه – رحمه الله – يريد أن يشير بذلك إلى أن الهمزة هي الأصل في الاستفهام، وأن بعض أدواته – إن لم يكن كلها – استعملت فيه بعد أن كانت في الأصل مقترنة بهذه الهمزة، ثم لما كثر استعمال هذه الأدوات مقترنة بتلك الهمزة في الاستفهام، حذفت منها الهمزة، وظلت هي وحدها مفيدة للاستفهام، وإنما خصَّ "مَنْ، ومتى، وهل" لسهولة تقدير الهمزة قبلهن.

وممن قالوا بأنها بمعنى "قد" علي بن عيسى أبو الحسن الرُّمّاني – ت ٣٨١هـــ رحمه الله – حيث قال في قول علقمة:

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ ∴ إِثْـــرَ الأَحِبَّـــةِ يَـــومَ البَـــيْنِ مَشْـــكُومُ

قَال : "أم قد كَبِير"، فنقلها عن معنى الاستفهام إلى معنى "قد"(٣).

---

(١) راجع: السابق جـــ٣/ ١٨٩.

(٢) راجع: السابق جـــ١/٩٩.

(٣) راجع: منازل الحروف للرماني – تحقيق/ إبراهيم السامرائي – نشر: دار الفكر – عمان – صـــ٤٢.

وإلى مثل ما ذهب إليه سيبويه والرُّمّاني – رحمهما الله – في "هل" ذهب الزمخشري – ت ٥٣٨ هـ – رحمه الله – حيث نقل في المفصَّل رأي سيبويه دون أن يضيف إليه شيئاً، يقول: "وعند سيبويه: إنَّ "هل" بمعنى "قد"، إلا أنهم تركوا الألف قبلها؛ لأنها لا تقع إلا في الاستفهام، وقد جاء دخولها عليه في قول الشاعر:

سائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعَ بِشَدَّتِنا ∴ أَهَلْ رَأَوْنا بسَفْحِ القَاعِ ذِي الأَكَمِ[١]

وإلى مثل هذا ذهب في الكشاف، حيث قال – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ الإنسان: ١: "هل بمعنى "قد" في الاستفهام خاصة، والأصل: أَهَلْ؟، بدليل قوله: أهل رَأَوْنَا بِسَفْعِ القَاعِ ذِي الأَكَمِ؟... فالمعنى: أقدْ أتى؟ على التقرير والتقريب جميعاً، أي: أتى على الإنسان قبل زمانٍ قريبٍ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ فيه شَيْئاً مَذْكُوراً، أي: كان شيئاً منسياً غير مذكور نطفةً في الأصلاب، والمراد بالإنسان: جنس بني آدم، بدليل قوله: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ"[٢].

فالزمخشري – رحمه الله – يرى أن "هل" دائماً بمعنى "قد"، وأن أصلها "أَهَلْ"، بمعنى: أَقَد، فإذا قلت: هل جاء زيدٌ، فمعناه: أقد جاء؟.

وتبعه في ذلك البيضاوي – تـ ٦٨٥هـ أو ٦٩١هـ رحمه الله – فقال: "هو استفهام تقرير وتقريب؛ ولذلك فُسِّر بـ"قد"، وأصله "أَهَلْ"، كقوله: أَهَلْ رَأَوْنَا... البيت، ومعنى قَول الزَّمَخْشَرِيّ: في الاستفهام خاصَّة: أن "هل" لا تكون بمعنى "قد" إلا ومعها استفهام لفظاً، كالبيت المتقدم، أو تقديراً، كالآية الكريمة، فلو قلت: هل جاء زيد؟، بمعنى قد جاء، من غير استفهام لم يجز، وقَوله: على التقرير أَي: المفهوم من الاستفهام المُقَدَّرِ، وقَوله: والتقريب أَي:

---

(١) راجع: المفصل في علم العربية للزمخشري صـ٣٢٦.

(٢) راجع: الكشاف٤/٥١٢.

المفهوم من هل بمعنى قد"[١].

وأشير هنا إلى أن معنى التقريب الذي ذكراه – رحمهما الله– هو تقريب الماضي مع "قد"، أو "هل" التي بمعناها من زمن الحال، وقد نصَّ الزمخشري – رحمه الله – على هذا المعنى لما وصف الزمان بالقرب في تفسيره للآية، حيث قال: أتى على الإنسان قبل زمانٍ قريبٍ حينٌ من الدهر، يقول ابن هشام رحمه الله في الحديث عن معاني "قد" الحرفية: "الثاني: تقريب الماضي من الحال، تقول: قام زيد، فيحتمل الماضيَ القريبَ، والماضيَ البعيد، فإن قلت: قد قام، اختص بالقريب"[٢].

ويرى أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي – تـ٤٢١هـ رحمه الله – أن لـ"هل" معنيين على حد السواء، هما الاستفهام، وقد، إلا أن الاستفهام هو الأكثر، يقول: "ليس لـ"هل" في الكلام إلا موضعان: أحدهما – وهو الأكثر – أن يكون للاستفهام... والثاني: أن يكون بمعنى قد"[٣].

ويرى شُرَّاح التلخيص – رحمهم الله – أنه متى أريد الاستفهام عن فعل قصد إفادة معنى " قد "، استعملت فيه "هل" دون "قد"، فلما كثر استعمالها كذلك، أقيمت مُقام الهمزة التي كانت تصاحبها كثيراً، وأُلقي فيها معنى "قد"، فلم تقدر الهمزة أصلاً، بل تطفَّلت عليها "هل" في إفادة معناها؛ فلأجل أنها بمعنى "قد" في الأصل أُدخلت على الفعل دون الاسم كـ"قد" مراعاة لمعناها الأصلي، ولكن إنما يُراعَى فيها معناها الأصلي في لزوم موالاتها الفعل إذا وجد الفعل في التركيب، وأما إذا لم يوجد أصلاً رُوعي فيها معنى الاستفهام، الذي نقلت له، فجاز دخولها على الاسم...[٤].

---

(١) راجع: خزانة الأدب للبغدادي١١/٢٦٣.

(٢) راجع: مغني اللبيب لابن هشام١/١٩٥.

(٣) راجع: شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي١/٨٩٦.

(٤) راجع: المطول صـ٤١٢، والأطول صـ٢٣٦، والمختصر، ومواهب الفتاح، وحاشية الدسوقي "ضمن الشروح" ٢/٢٦٠.

وممن تحدثوا عنها باعتبار وضعها الحالي الخليل بن أحمد – تـ١٧٠هـ – حيث قال في كتاب العين، باب الهاء مع اللام: "هَلْ– خفيفةً– استفهامٌ، تقول: هل كان كذا وكذا؟ وهل لك في كذا وكذا؟، وقول زهير:

وذِي نَسَبٍ نـــاءٍ بَعيـــدٍ وَصَـــلْتُهُ ∴ بِمَالٍ ومَا يَدْرِي أَهَلْ أَنْـــتَ وَاصِـــلُه

اضطرارٌ؛ لأنّ "هلْ" حرف استفهام، وكذلك الألف، ولا يُسْتَفْهَمُ بحرفَيِ استفهام"(١).

وقد نقل عنه محمد بن عبد الله أبو الحسن بن الوَرَّاق – تـ٣٨١هـ رحمه الله – في علل النحو قوله: "وجدت الحروف متى رُكِّبَتْ، خرجت عمَّا كانت عليه، فَمن ذلك "هل"، أصلها الاستفهام، ولا يجوز أَن يعمل ما بعدها فيما قبلها، لو قلت: زيداً هل ضربتَ؟، لم يَجُزْ، فَإِذا زيد على "هل" "لا"، ودخلها معنى التحضيض، جاز أَن يتَقَدَّم ما بعدها عليها، كقَولك: زيداً هلّا ضربت"(٢).

فالخليل – رحمه الله – يرى أن "هل" أصلها ثنائيٌّ هكذا بدون الهمزة، وأنها موضوعة للاستفهام، وأن ما ورد من دخول الهمزة عليها – كما في البيت – فهو للضرورة الشعرية، وليس إشارة إلى أنها بمعنى "قد"، والهمزة هي التي للاستفهام.

وإلى نحو هذا ذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء – تـ ٢٠٧هـ رحمه الله – حيث قال في التفرقة بين الاستفهام الذي يتوسط الكلام، والاستفهام الذي يكون في بدايته، والأدوات المستخدمة في كلٍّ: "وقوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ} من الاستفهام الَّذِي يتوسّط فِي الكلام، فيجعل بـ"أَمْ"؛ ليُفْرَقَ بينه وبين الاستفهام المبتدأ الَّذِي لَمْ يتّصل بكلام، ولو أريد به الابتداء، لكان إمّا بالألف

(١) راجع: العين للخليل بن أحمد "هـ. ل".

(٢) راجع: علل النحو لابن الوراق صـ١٩٢.

– يعني همزة الاستفهام – وإمّا بـــ"هَلْ"، كقوله: {هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}، وأشباهه"(١).

فهو يرى أن "أم" للاستفهام الذي يتوسط الكلام، ولا تأتي في بدايته، بخلاف الهمزة وهل وباقي الأدوات، فإنها تأتي في بداية الكلام، ويفهم من هذا النص أنه يرى أن "هل" موضوعة للاستفهام.

وكذلك ذهب أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – تـــ ٢٧٦ هـــ رحمه الله – والذي يرى أن "هل" للاستفهام، وقد تخرج منه للتقرير، والتوبيخ، يقول: "هل: تكون للاستفهام، ويدخلها من معنى التقرير والتّوبيخ ما يدخل الألف التي يستفهم بها، كقوله تعالى: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ ﴾ الروم: ٢٨، وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ"(٢).

وإلى نحو من هذا ذهب محمد بن يزيد أبو العباس المبرد – تـــ ٢٨٥هـــ رحمه الله – حيث قال:"هَلْ، وهي للاستفهام، نحو قولك: هل جاء زيد؟، وتكون بمنزلة "قد" كما في قوله عز وجل: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾، ولأنَّها تخرج عن حدّ الاستفهام تدخل عليها حروف الاستفهام، نحو قَولك: أم هل فعلتَ؟ وإن احتاج الشاعر إلى أن يُلزمَها الألف فعل، كما قال:

سائِلْ فَــوَارِسَ يَرْبُــوعٍ بِشِــدَّتِنا ∴ أَهلْ رأَوْنا بِسَــفْحِ القُــفِّ ذِي الأَكَــمِ(٣)

وتبعه عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزَّجَّاجِي – تـــ ٣٣٧هـــ رحمه الله – فذكر ما ذكره بأمثلته وبترتيبه، وكأنه ناقل عنه(٤).

وممن قالوا بأن "هل" للاستفهام كذلك أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد

---

(١) راجع: معاني القرآن للفراء صـــ٤٢٦.

(٢) راجع: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة صـــ ٢٨٨.

(٣) راجع: المقتضب للمبرد ٤٣/١.

(٤) راجع: حروف المعاني والصفات للزجاجي صـــ٢.

– تـــ٣٢١ هـــ رحمه الله – حيث قال في الاشتقاق: "وهل: كلمةٌ تدخل في باب الاستفهام، فإذا جعلتَها اسماً نوّنتَها وصرفتها، وذُكِر عن الخليل قال: قلت لأبي الدُّقَيش: هل لك في رُطَب؟ فقال: أسرعُ هَلٍ وأوحاه، فنوَّن وخفّف لما جعله اسماً"(١).

وينقل محمد بن أحمد الأزهري الهروي – تـــ٣٧٠ هـــ رحمه الله – في تهذيب اللغة عن الليث أنها للاستفهام، حيث يقول: "قَالَ ابْن السّكيت: إِذا قيل لَك: هَلْ لَكَ فِي كَذَا وكَذَا؟ قلتَ: لي فِيهِ، وإنّ لي فِيهِ، وَمَا لي فِيهِ. ولَا تقل: إِن لي فِيهِ هلاًّ. والتأويل: هَل لَك فِيهِ حاجةٌ، فحذفت الحاجةُ لمَّا عُرِفَ الْمَعْنى، وحَذَف الرادُّ ذِكر الْحَاجة، كَمَا حذفهَا السَّائل. وَقَالَ اللَّيْث: هَلْ خَفِيفَة: استفهامٌ"(٢).

وابن جني – ت ٣٩٢ هـــ رحمه الله – يرى أنها للاستفهام، وقد تخرج منه إلى معنى "قد"، يقول في الخصائص: "فأما "هل"، فقد أُخرجت عن بابها إلى معنى قد، نحو قول الله سبحانه:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾ {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} قالوا: معناه: قد أتى عليه ذلك. وقد يمكن عندي أن تكون مبقاة في هذا الموضع على بابها من الاستفهام، فكأنه قال والله أعلم: هل أتى على الإنسان هذا؟ فلا بُدَّ في جوابه من "نعم" ملفوظًا بها أو مقدرة، أي: فكما أن ذلك كذلك، فينبغي للإنسان أن يحتقر نفسه، ولا يبأى – أي: يفخر – بما فتح له، وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه: بالله هل سألتَني فأعطيتُك! أم هل زرتَني فأكرمتك!، أي: فكما أن ذلك كذلك، فيجب أن تعرف حقي عليك وإحساني إليك. ويؤكد هذا عندك قوله تعالى:﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾الإنسان:٢– ٣، أفلا

(١) راجع: الاشتقاق لابن دريد صـــ٦٠.

(٢) راجع: تهذيب اللغة للأزهري "هـــ. ل. ل".

تراه – عز اسمه– كيف عدد عليه أياديه وألطافه له"[١].

فهو يرى أنها أخرجت في الآية الكريمة عن بابها، وهو الاستفهام، إلى معنى "قد"، مع جواز بقائها على بابها من الاستفهام.

وقريباً من هذا جاء كلامه – رحمه الله – في "اللُّمَع"، حيث يرى أنها متأصلة في الاستفهام إلا أنها تأتي في بعض المواضع بمعنى "قد" مجردةً عن الاستفهام، حيث قال: "وَأما "هَل"، فكقولك: هَل قَامَ زيد؟، و:هل يقوم جَعْفَر؟ فَجَوَابه: نعم، أَو لَا، وَقد تكون "هَل" بِمَعْنى "قد"، قَال الله تَعَالَى {هَل أَتَى على الْإِنْسَان حِين من الدَّهْر} أَي: قد أَتَى عَلَيْهِ حِين من الدَّهْر، قَالَ الشَّاعِر:

سائِلْ فَــوَارِسَ يَرْبُــوعَ بِشَــدَّتِنا ∴ أَهَلْ رَأَوْنَــا بسَــفْحِ القَــاعِ ذِي الأَكَــمِ

أَي: قد رأَونا"[٢].

ويرى أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – تـ٣٩٣هـ رحمه الله – أن "هل" للاستفهام، ثم نقل عن أبي عبيدة أنها تأتي بمعنى "قد"، كما في آية الإنسان، ثم ذكر أنها تأتي بمعنى "ما" النافية، يقول: "وهل: حرف استفهام، فإذا جعلته اسماً، شدَّدته.... أبو عبيدة في قوله تعالى: {هَلْ أتى على الإنسان حِينٌ من الدهر} قال: معناها قد أتى. وهل قد تكون بمعنى "ما"، قالت ابنةُ الحُمارِسِ:

هل هي إلاَّ حِظَةٌ أو تطْلِيقْ * أي ما هي، فلهذا أدخلت إلا[٣].

ويرى أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَه – تـ ٤٥٨ هـ رحمه الله – أنها للاستفهام، يقول في بيان معاني بعض حروف المعاني: "ومعنى "هل" الاستفهام، ومعنى لِمَ الاستفهام عن العلة، ومعنى لَمْ نفي الْمَاضِي، ومعنى لَنْ

---

(١) راجع: الخصائص٢/٤٦٤.

(٢) راجع: اللمع صـ٢٣٠.

(٣) راجع: الصحاح "م. ل. ل".

نفي الْمُسْتَقْبل"(١).

وفخر الدين الرازي – تـــ٦٠٦هـــ رحمه الله – ينقل رأي سابقيه في "هل" في قوله تعالى: {هل أتى}، ويشير إلى اتفاقهم على أنها بمعنى "قد"، يقول: "اتفقوا على أن "هل" هاهنا وفي قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ الْغَاشِيَةِ: ١، بمعنى "قَدْ"، كما تقول: هل رأيتَ صنيعَ فلان، وقد علمتَ أنه قد رآه، وتقول: هل وعظتُكَ؟، هل أعطيتُكَ؟، ومقصودك أن تُقَرِّرَه بأنك قَد أَعطَيْتَه ووعظتَه، وقد تجيء بمعنى الْجَحْدِ، تقول: وهل يَقْدِرُ أَحَدٌ على مثل هذا؟، وأما أنها تجيء بمعنى الاستفهام فظاهر، والدليل على أنها هاهنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان: الأول: ما رُوِيَ أَنَّ الصِّدِّيقَ – رضي الله عنه – لما سمِع هذه الآية قال: يَا لَيْتَهَا كَانَتْ تَمَّتْ فلا نُبْتَلَى، ولو كان ذلك استفهاماً لما قال: لَيْتَهَا تَمَّتْ، لأن الاستفهام إنما يُجَابُ بلا أو بنعم، فإذا كان المراد هو الخبرَ، فحينئذ يحسُن ذلك. الوجه الثاني: أن الاستفهام على الله تعالى مُحالٌ، فلا بُدَّ من حمله على الخبر"(٢).

ومجد الدين بن الأثير – تـــ ٦٠٦هـــ رحمه الله – يرى أنها في الأصل للاستفهام، ثم إنها قد تخرج عن الاستفهام إلى التقرير إذا كان السائل عالماً بما سأل عنه، وكانت داخلة على جملة فعلية، كما في آية: {هل أتى}، ثم يشير إلى رأي من قالوا بأنها في الآية للاستفهام المراد به التقرير، يقول: "وقد ترد "هل" بمعنى "قد"، إذا جاءت من عالم بما سأل عنه، وكان بعدها فعل، كقوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾، يريد بالإنسان آدم – عليه السّلام – تقريراً لمن ادّعى غير ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ الفجر: ٥، وقال قوم: إن "هل" لم تخرج عن الاستفهام، وجعلوها

(١) راجع: المخصص لابن سيدَه٤/٢٣١.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب للرازي٣٠/ ٧٣٩.

تقريراً وتثبيتاً"(١).

ويرى أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري – تـ٦١٦هـ رحمه الله – أنها للاستفهام، وقد تخرج عنه إلى التقرير والتوبيخ، يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾: في "هَلْ" وجهان: أحدُهما: هي بمعنى "قد"، والثاني: هي استفهام على بابها، والاستفهام هنا للتقرير، أو التوبيخ"(٢).

ويرى ابن مالك – تـ ٦٧٢ هـ رحمه الله – أن "هل" حرف استفهام، ولكنها تجيء مع الماضي بمعنى قد، يقول: "هل حرف استفهام، تجيء مع الماضي بمعنى قد، كقوله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾الإنسان: ١ قال المفسرون: المعنى: قد أتى على الإنسان حين من الدهر. وللاستفهام حرفان: الهمزة وهل... وقد تدخل عليها الهمزة، فتتعين مُرادفةُ قد"(٣).

وتبعه في ذلك ابن عقيل – تـ ٧٦٩ هـ رحمه الله – حيث نقل قول المفسرين في الآية، ثم نقل قول ابن هشام الخضراوي: "ذكر جماعة من النحويين وأهل اللغة أن هل تكون بمعنى قد، مجردة من الاستفهام، وبها فسروا: {هل أتى على الإنسان}؛ وممن ذكره الكسائي، والفراء، والمبرد"(٤).

هذه بعض آراء علماء اللغة، والنحو، والتفسير، في "هل"، أما البلاغيون، فقد أشاروا – كما ذكرت قبلُ – إلى أن أصلها "قد"، ثم نقلت إلى الاستفهام، وأنها للتصديق، ولا تأتي معها "أم" المتصلة، وتخلص المضارع بعدها للاستقبال؛ ولذلك كان دخولها على الجمل الفعلية أكثر من دخولها على

---

(١) راجع: البديع في علم العربية ٢/٢١٨.

(٢) راجع: التبيان في إعراب القرآن للعكبري صـ٥٧١.

(٣) راجع: شرح التسهيل لابن مالك٤/ ١٠٩.

(٤) راجع: المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل٣/٢١١.

الجمل الاسمية، أو استلزم اختصاصها بالتصديق، وتخليصها المضارع للاستقبال، أن يكون لها مزيد اختصاص دون الهمزة بما يكون كونه زمانياً أظهر كالأفعال؛ ولذلك كان دخولها على الجملة الاسمية التي عجزها اسم، كما في : هل زيد منطلق، لا يصدر إلا من بليغ .... هذا عند السكاكي، والخطيب، وسعد الدين، وابن يعقوب، رحمهم الله(١).

أما بهاء الدين السبكي – تـ ٧٧٣ هـ رحمه الله – فقد اعترض على آراء سابقيه القائلة بحمل "هل" على معنى "قد"، سواء أكان هذا المعنى أصلياً لها، أم كانت للاستفهام، ثم نقلت إليه، يقول: "قلت: قوله: أصل "هل" أن تكون بمعنى "قد"، إن عُني به أنها حال كونها استفهامية بمعنى "قد" فهو بعيد؛ لأن ذلك يخالف إطباق المعربين على تسميتها حرف استفهام، وإن عني أن معناها الأصلي "قد"، ثم استعملت في الاستفهام، فذلك ممنوع، ولو صح لا يقضي بمساواتها لـ"قد" في هذا الحكم، وقولهم: إنهم تركوا الهمزة قبلها؛ لكثرة وقوعها في الاستفهام يعني أنها لما كانت متعينة للاستفهام استغني عن ذكر همزته، وفيه نظر؛ لأنه ليس كل شيء كان متعيناً لشيء يلتزم فيه ترك أداة ذلك الشيء، فترك الهمزة قبلها لئلا يجمع بين حرفي استفهام، لا لكثرة وقوعها في الاستفهام، والذى أوقع المصنف في ذلك كلام الزمخشري في المفصل"(٢)، ونقل كلام الزمخشري السابق، ثم قال:" وإذا أخذ على إطلاقه يلزم أن تكون "هل" حيث وقعت بمعناها، فتخرج عن الاستفهام بالكلية، والذى أوقعه في ذلك قول سيبويه، وكذلك "هل" إنما هي بمنزلة "قد" إلا أنهم تركوا الألف قبلها إذا كانت لا تقع إلا في الاستفهام، وقد أول السيرافي كلام سيبويه

---

(١) راجع: مفتاح العلوم صـ٣٠٨، والإيضاح للخطيب٣/٥٩، ومختصر السعد، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي "ضمن شروح التلخيص"٢/٢٦٠، والمطول صـ٤١٢.

(٢) راجع: عروس الأفراح "ضمن شروح التلخيص"٢/٢٦٠.

على أن المراد أن "هل" يستقبل بها الاستفهام، كما أن "قد" يستقبل بها الخبر، وقال السيرافي في هذا البيت: وهذا غير معروف، والرواية أم هل رأونا، وقال ابن مالك: "هل" يتعين مرادفتها لـــ"قد" إذا دخلت عليها الهمزة، ورد عليه شيخنا أبو حيان وقال: لا تقع مرادفة لها أصلاً، وخرج البيت على الزيادة، وبالجملة فَهُمَا وأكثر النحاة متفقون على أنه عند إرادة الاستفهام ليست بمعنى "قد"، وقد أورد بعض الشارحين أنها لو حملت على "قد" لامتنع: هل زيد قائم، كما امتنع: قد زيد قائم، وأجيب بأنها حملت على الهمزة في ذلك، وإنما لم تحمل على الهمزة في عدم قبح: هل زيداً ضربت؛ لأنها وجدت ما تستحقه، فلم تحمل على ما هو غير أصلها، وبالجملة ما ذكره الزمخشري من كون "هل" بمعنى "قد" إن أراد المرادفة، فهو في غاية البعد، وأما قول المصنف: إنها في الأصل بمعنى "قد"، وما أوهمه كلامه من أن أصلها ذلك، ثم صارت للاستفهام، فلم يقل به أحد فيما علمت"(١).

وأما الدسوقي – تـــ ١٢٣٠ هـــ رحمه الله – فقد نقل عن أبي حيان وجماعة من النحويين وأهل اللغة أن "هل" قد تكون بمعنى "قد" مجردة عن الاستفهام، وربما فسروا بذلك قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾، ثم ذكر اختلافهم في معنى "قد" هذه التي حمل عليها "هل" في الآية، حيث حملها بعضهم على معنى التقريب، أي: قد أتى على الإنسان قبل زمان قريب طائفة من الزمان الطويل الممتد لم يكن شيئاً مذكوراً، كذا في الكشاف، وفسرها غيره بـــ"قد" خاصة، لكن حمل "قد" على معنى التحقيق، لا على معنى التقريب، وحملها بعضهم على معنى التوقع، وكأنه قيل لقوم يتوقعون الخبر في شأن آدم: قد أتى على الإنسان، وهو آدم، حين من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكوراً، وذلك الحين من كونه طيناً، ثم ذكر أن "هل" تأتي متلبسة

(١) راجع: عروس الأفراح "ضمن شروح التلخيص"٢/٢٦١.

بمعنى قد، وهو التقريب، أو التحقيق، أو التوقع، ثم قال بعد أن فرغ من شرح كلام الخطيب وسعد الدين – رحمهما الله – من أنها بمعنى "قد"، وتَطَفَّلَتْ على الهمزة في الاستفهام: "وفيه أن هذا يقتضي أن "هل" غير موضوعة للاستفهام، فينافي ما سبق من أنها موضوعة لطلب التصديق، وأجيب بأن وضعها لذلك باعتبار العرف الطارئ، فلا ينافي أنها تطفّلت على الهمزة في إفادة معناه"(١).

فـ"هل" عنده بمعنى "قد"، ثم نقلت بعد أن تطفَّلت على الهمزة إلى الاستفهام.

ونخلص من هذا الخلاف إلى أن الأداة الموضوعة للاستفهام باتفاق العلماء هي الهمزة، وما عداها ملحق بها، أو تابعٌ لها – كما يقول مجد الدين بن الأثير تـ٦٠٦هـ رحمه الله(٢) – وأن الأصل في هذه الأدوات الملحقة بالهمزة اقترانها بالهمزة، ثم لما كثر استعمالها في الاستفهام، حذفت منها الهمزة، وصارت دالة على الاستفهام بنفسها؛ ولذلك رأينا سيبويه – رحمه الله – يقدرها قبل مَنْ، ومتى، وهل، وربما انسحب هذا التقدير – كما نفهم من كلام سيبويه– على باقي الأدوات إن أمكن.

وعلى هذا فإن "هل" وحدها ليست في أصل وضعها أداة للاستفهام، وإنما صارت أداة له لما دخلت عليها همزة الاستفهام، وصارت "أَهَلْ"، ثم لما كثر استعمال هذا التركيب، وهو "أَهَلْ" في الاستفهام، حذفت الهمزة، وبقيت "هل" وحدها، وصارت أداة للاستفهام، لقيامها مقام الهمزة المحذوفة، لا لوضعها للاستفهام بنفسها(٣)، والذين قالوا بأنها للاستفهام، ولم يذكروا أن أصلها "أهل" نظروا إليها بعد حذف الهمزة وكثرة الاستعمال.

---

(١) راجع: حاشية الدسوقي "ضمن الشروح" ٢/٢٦٠.

(٢) راجع: البديع في علم اللغة ٢/٢١٧.

(٣) راجع: خزانة الأدب للبغدادي١١/٢٦٢.

ثم إنها قد تخرج في بعض السياقات عن هذا الاستعمال الحقيقي – كغيرها من أدوات الاستفهام، بل كغيرها من ألفاظ اللغة – إلى معانٍ أخرى غير الاستفهام، ومنها معنى "قد"، التي للتقرير، أو التقريب، أو التوقع، فهي ليست بمعنى "قد" مطلقاً، كما ذهب الزمخشري – رحمه الله – لعدم صحة حملها عليها في الجمل الاسمية، كما في قولنا: هل محمد قائم، وهل محمد حضر؛ لاختصاص "قد" بالدخول على الجمل الفعلية.

وبعض العلماء يرى أن "هل" لها معنيان متوازيان: الاستفهام، والتقرير، وتكون للتقرير عند دخولها على الجملة الفعلية.

وعليه... فإن "هل" تكون للاستفهام، وتكون للتقرير دون الحمل على معنى "قد"، وتكون للتقرير بعد حملها على معنى "قد".

وأشير هنا إلى أن التقرير المذكور في كلام العلماء المقصود به إخراج المعنى في صورة تجعله قارّاً في نفس المخاطب، متمكناً منها، وليس التقرير الذي بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بالفعل، أو الإقرار بأنه الفاعل، فإن هذا النوع مما تختص به الهمزة؛ لأن "هل" تكون فيما لا يقطع فيه السائل بالوقوع أو بعدم الوقوع، والتقرير – ومثله التوبيخ – لا يكون إلا بما يقطع السائل بوقوعه، كقوله تعالى على لسان قوم إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وقد أرادوا تقريره بالفعل بعد أن رأوا تحطيم الأصنام، وعلموا أنه هو الذي حطمها: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ الأنبياء: ٦٢، يقول سيبويه رحمه الله: "ومما يدلك على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة "هل" أنك تقول للرجل: أطربتَ؟! وأنت تعلم أنه قد طرب، لتوبِّخَه وتقرِّره، ولا تقول هذا بعد هل"(١).

(١) راجع: الكتاب لسيبويه٣/١٧٦.

وهذا معناه أن "هل" لا تصلح لأن تكون فيما يُعلم حدوثه، بخلاف الهمزة؛ ولذلك فإن "هل" لا تأتي في حمل المخاطب على الإقرار بالفعل، أو بأنه الفاعل، وكذلك لا تأتي في مقام توبيخ المخاطب على فعل قد قام به، يقول السيرافي – رحمه الله – في شرح هذا: "وفصل سيبويه بين الألف وبين "هل" بأن ما بعد "هل" لا يكون تقريراً ولا توبيخاً لو قلت: هل تضرب زيداً؟ لم يجز أن تدعي وقوع الضرب وتوبيخه عليه وتقريره به كما يقول القائل: أتضرب زيداً، وهو أبوك توبيخاً له بذلك"(١).

معاني "هل" في اللغة والقرآن:

عرفنا فيما مضى أن "هل" للاستفهام، سواء أكان هذا أصلها، أم كانت بمعنى "قد"، ثم نقلت إليه، وأياً ما كان أمرها، فقد تصاحب مع الاستفهام معاني أخرى، منها:

الأمر، ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]أي: انتهوا.

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[هود: ١٤]

والتمني، ومنه قوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} الأعراف: ٥٣، وقوله تعالى:{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ } غافر: ١١.

ومنه قول ابن الطّثْرِيَّةِ:

تَطَاوَلَ لَيْلِي بِالعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ ∴ عَلَيَّ بِأَكْنَافِ الحِجَازِ يَطُولُ

(١) راجع: شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي٣/٤٢١.

فهل لِي إِلَى أَرْضِ الحِجَازِ وَمَنْ بِهِ ∴ بِعَافِيَـــةٍ قَبْـــلَ المَمَـــاتِ سَـــبِيْلُ

والنفي، ومنه قول المتنبي:

هَلِ الوَلَدُ المَحْبُـوبُ إِلَّـا تَعِلَّـةً ∴ وَهَلْ خَلْوَةُ الحَسْـنَاءِ إِلَّـا أَذَى البَعْـلِ

وقول ابن مِسْهَرٍ الكَاتِبُ:

هَلِ المَرْءُ إِلَّا عُرْضَـةٌ للنَّوَائِـبِ ∴ وَهَلْ نَاطِقٌ مِنْ صَرْفِهَا غَيْـرُ عَاتِـبِ

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يونس: ١٠٢، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف: ٣٥، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ الرحمن: ٦٠.

والمعنى فيما سبق: ما الولد المحبوب إلا تعلة، وما المرء إلا عرضة، و: فلا ينتظرون إلا مثل أيام... و: فلا يهلك إلا القوم الفاسقون، و: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وسوف نقف في البحث – إن شاء ربنا – على كل ما ورد في القرآن الكريم من معاني النفي بهذا الحرف.

أن تكون للتقرير والإثبات – وهو غير معنى قد – ذكره بعضهم، في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ الفجر: ٥، وذكر بعض النحويين أن هل لم تستعمل للتقرير، وأن ذلك مما انفردت به الهمزة(١).

وقيل: إنها تأتي بمعنى إنَّ، زعم هذا بعض النحويين، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ الفجر: ٥، بمعنى إنَّ؛ ولذلك يتلقى بها القسم، كما يتلقى بـــ" إنَّ"، وهو قول ضعيف، وقيل معناها في الآية: أليس،

(١) راجع: حروف المعاني والصفات للزجاجي صـــ٢، والجنى الداني صـــ٣٤٢، ومغني اللبيب ٢/٤٠٤.

والمعنى: أليس في ذلك قسمٌ؟، ولو كان الأمر كذلك، لكانت للتقرير.

وزاد بعض الباحثين المحدثين أن من معاني "هل":

١- **العرض:** وجعل منه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ الكهف: ٦٦، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ الصافات: ٥٤، وقوله تعالى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ النازعات: ١٨.

٢- **التشويق:** وجعل منه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ ﴾ الصف: ١٠.

٣- **التعليم والإرشاد:** وجعل منه قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ الكهف: ١٠٣.

٤- **التبكيت:** وجعل منه قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡ ﴾ الأعراف: ٤٤، وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾ الحج: ١٥.

٥- **التهويل والتعظيم**، وجعل منه قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ ق: ٣٠، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ الغاشية: ١.

٦- **التحذير:** وجعل منه قوله تعالى: ﴿ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ﴾ البقرة: ٢٤٦، وقوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ محمد: ٢٢.

٧- **الإلزام:** وجعل منه قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ ﴾ الأنعام: ١٤٨، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فاطر: ٣ [(١)].

(١) راجع: معاني النحو د/فاضل صالح السامرائي – نشر: دار الفكر – الأردن٤/٢٤٠.

ولا يخفى أن الاستفهام في هذه الآيات يمكن حمله على معانٍ أخرى غير هذه المعاني، وسوف نقف عندها بالتحليل في المبحث التالي.

آراء العلماء في مجيء "هل" بمعنى "قد"

ذكرنا – فيما مضى– أن سيبويه يجعل "هل" بمنزلة " قد" مطلقاً، وبالغ في ذلك الزمخشري، فجعل أصل معناها هو "قد" مطلقاً، وفي جميع مواضعها، أما ابن مالك، فهو يرى أنها تكون بمعنى "قد" إذا دخلت على الماضي، أو دخلت عليها الهمزة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]، ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤] ، ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [النازعات: ١٥]، ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾ [البروج: ١٧]، ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١]

ومن الثاني قول الشاعر:

سائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعَ بِشَدَّتِنا ∴ أَهَلْ رَأَوْنا بسَفْحِ القاعِ ذِي الأَكَمِ

وقد رَدّ بعضهم القول بأن "هل" ترادف "قد"؛ لأنه قول لم يقم عليه دليل واضح، إنما هو شيء قاله المفسرون في قوله تعالى: {هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ}، حيث قالوا: إن معناه: قد أتى، وهذا تفسير معنىً، لا تفسير إعراب، ولا يُرجع إليهم في مثل هذا، إنما يُرجع في ذلك إلى أئمة النحو واللغة، لا إلى المفسرين... ورُدّ قولهم هذا بأن كون "هل" ترد بمعنى "قد" قول جماعة من رؤوس النحاة، كالكسائي، والفراء، والمبرد، وليس قول المفسرين وحدهم... أما كونها تكون بمعنى "قد" إذا دخلت عليها الهمزة، فمردود بأنه لم يكثر كثرة توجب القياس، إنما جاء منه هذا البيت أو بيت آخر إن كان جاء، وإذا كان الأمر كذلك احتمل أن يكون مما دخل فيه أداة استفهام على مثلها على سبيل التوكيد، وإذا كان ذلك يوجد في المتحد اللفظ العامل، كقوله: ولا للما بهم أبداً

دواء... وفي المختلف اللفظ العامل كقوله: فأصبحن لا يسألنه عن بما به.... فلأن يوجد في المختلف اللفظ غير العامل أحرى وأولى، وإذا احتمل ما ذكرناه من التوكيد لم تتعين مرادفة "قد"(١).

وابن قتيبة – تـــ٢٧٦هـــ رحمه الله – يشير في "مُشْكِل القرآن"، وفي "غريب القرآن" إلى أن المفسرين يجعلونها في بعض المواضع بمعنى "قد"، كقوله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾ ، أي: قد أتى، وقوله:﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾، و:﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩،﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ص: ٢١...(٢).

وأبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي – تـــ ٣٧٠ هـــ رحمه الله – ينكر مجيء "هل" بمعنى "قد" في كلام العرب، ويرى أن حملها على "قد" إنما هو كلام المفسرين وبعض من النحاة، يقول في شرح بيت أبي تمام:

رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مَسْخَطِي ∴ مِنَ الأَمْرِ مَا فِيهِ رِضَا مَنْ لَـــهُ الأَمْـــرُ

"إنما معناه: ولست أرضى، فكان وجه الكلام أن يقول: رضيتُ وكيف لا أرضى إذا كان مسخطي ما فيه رضا الله تعالى؟، وكذا أراد، فأخطأ في اللفظ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده، فإن قيل: إن "هل" هنا بمعنى "قد"، وإنما أراد الطائي: رضيت وقد أرضى، كما قال الله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾ أي: قد أتى. قيل: هذا إنما قاله قومٌ من أهل التفسير، وتبعهم قوم من النحويين، وأهل اللغة جميعاً على خلاف ذلك؛ إذ لم يأتِ في كلام العرب وأشعارها: هل قام زيد، بمعنى: قد قام زيد، وإذا كان ذلك معدوماً في كلام العرب ولغاتها، فكيف يجوز أن يؤخذ به، أو يعول عليه؟ وقد قال أبو

---

(١) راجع: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٩/٤٤٨٠.

(٢) راجع: تأويل مشكل القرآن صـــ٢٨٨، وغريب القرآن صـــ٥٠٢.

إسحاق الزجاج وجماعةٌ من أهل العربية في قوله عز وجل " هل أتى على الإنسان " معناه ألم يأتِ، على سبيل التقرير، وهب الأمر في هذا كما ذكروا، والخلاف ساقط فيه، فإن بيت أبي تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية؛ لأن "هل" إنما شبَّهها مَن شبَّهها بقد، إذا وليت لفظ الماضي خاصة، وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل، وإذا وقعت على المستقبل؛ فسقط عنها أن تضارع قد؛ لأن قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما، و"هل" ليس فيها ذلك"(١).

وابن الشجري – تـ ٥٤٢هـ رحمه الله – يقول: "وما علمت أحداً من أهل اللغة قال: إن "هل" تكون في شيء من الكلام ولا القرآن بمعنى "قد"، والنحويون يقولون في قوله جلّ اسمه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ إن المعنى: ألم يأتِ؟ منهم الزجاج"(٢).

وقد ذكر البغدادي – تـ١٠٩٣هـ رحمه الله – أن للعلماء في مجيء "هل" بمعنى "قد" أربعة مذاهب:

الأول: أنها دائماً بمعنى "قد"، وأصلها "أَهَل"، بمعنى "أَقَد"، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، إقامة لها مقامها، وقد جاءت على الأصل في قول الشاعر:

سائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعَ بِشَدَّتِنا ∴ أَهَلْ رَأَوْنا بسَفْحِ القاعِ ذِي الأَكَمِ؟

وقول آخر:

أَهَلْ عرفْتَ الدَّارَ بالغريينْ؟ ∴ لم يَبْقَ من آيٍ بها يُحَلَّيْنْ

غَيرُ خِطامٍ ورَمادٍ كِنْفَيْنْ ∴ وصالِياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ

والمعنى فيهما: أَقَدْ، وهذا مذهب الزمخشري.

---

(١) راجع: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي١/٢١٤.

(٢) راجع: أمالي ابن الشجري٣/ ١٠٨.

المذهب الثاني: أن "هل" بمعنى "قد"، دون استفهام مقدر، وهو مذهب الفرّاء، قَال في تفسير الآية: المعنى: قد أَتَى على الإنسان حينٌ من الدَّهْر، و"هل" قد تكون جَحْداً – اي نفياً– مثل: هل تستطيع ذلك؟، بمعنى لا تستطيعه، و: هل يقدر على هذا غيري؟، أي لا يقدر، ومنه قول الشاعر: أَلا هَلْ أَخو عَيْشٍ لذيذٍ بِدَائِمِ... والمعنى: ما أخو عيش... وَتَكون خَبراً، مثل: هل أعطيتك؟ وهل أحسنت إليك؟ والآية من الخبر.

المذهب الثالث: أن "هل" يتعين كونها بمعنى "قد" إذا سبقت باستفهام، كما في الشاهدين السابقين: أَهَلْ رَأَوْنا، وأَهَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ؟ ، وهذا مذهب ابن مالك.

وأشير هنا إلى أن البغدادي – رحمه الله – قد سها عن ذكر الموضع الثاني الذي يتعين فيه كون "هل" بمعنى "قد" عند ابن مالك رحمه الله، وهو دخولها على الماضي.

المذهب الرابع: أن "هل" لا تأتي بمعنى "قد"، وإنما هي للاستفهام، وذهب إليه جماعة، ثم اختلفوا فِي الآية، فقال أبو حَيَّان: هي على بابها من الاستفهام، أَي: هو ممن يُسأل عنه لغرابته، أتى عليه حِين من الدَّهْر لم يكن كذا؛ لأنه يكون الجواب: أتى عليه ذلك، وهو بالحال المكورة، وقال مكي في تقرير كونها على بابها من الاستفهام: والأحسن أَن تكون على بابها للاستفهام الذي معناه التقرِير، وإنما هو تقريرٌ لمن أنكر البعث، فلا بُدَّ أَن يقول: نعم! قد مضى دهرٌ طَوِيلٌ، لَا إنسان فيه، فيقال له: مَن أحدثه بعد أَن لم يكن، وكَوَّنه بعد عدمه، كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته؟... قَالَ السمين فِي الدّرّ المصون: قد جعلهَا لاستفهام التَّقْرِير خلافًا لأبي حَيَّان فِي جعله استفهاماً مَحْضاً؛ لِأَن التَّقْرِير الَّذِي يجب أَن يكون؛ لأن الاستفهام لا يرد من الْبَارِي تَعَالَى إِلَّا على هذا النحو.. وإِلى

التقرير ذهب الزَّجَّاج أَيضاً، قَال: معنى هـ{لَ أَتَى على الْإِنْسَان} أَي: ألم يَأْتِ على الْإِنْسَان حينٌ من الدَّهْر لم يكن شَيْئاً مَذْكُوراً؟. والمعنى: قد كَانَ شَيْئاً إِلَّا أَنه كَانَ تُرَاباً وطيناً إِلَى أَن نفخ فِيهِ الرّوح فَلم يكن قبل نفخ الرّوح فِيهِ شَيْئا مَذْكُوراً.... وقد اخْتَار هذا المذهب ابن جني، فقال في بَاب إقرار الْأَلْفَاظ على أوضاعها الأول من كتاب الخصائص: وَأما هَل فقد أخرجت عَن بَابهَا إِلَى معنى قد نَحْو قَول الله: هَل أَتَى على الْإِنْسَان قَالُوا: مَعْنَاهُ قد أَتَى عَلَيْهِ ذَلِك.

وصوَّب أبو حَيَّان هذا المذهب، ورد ما عداه، قَال فِي شرح التسهيل: إِن مرادفة "هَل" لـــ"قد" لم يقم عليها دليلٌ واضح، إِنَّمَا هُوَ شَيْء قَالَه الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْله تَعَالَى: {هَل أَتَى على الْإِنْسَان حِين}: إِن مَعْنَاهُ قد أَتَى.... وَتَبعهُ ابن هِشَام فِي الْمُغنِي، فَقَالَ: وَقد عكس قوم مَا قَالَه الزَّمَخْشَرِيّ(١).

والآن إلى الحديث عن هذا الحرف في القرآن الكريم:

(١) راجع: خزانة الأدب للبغدادي١١/٢٦٢.

"هل"
في القرآن الكريم

وردت "هل" في القرآن الكريم أربعاً وتسعين مرة، وجاءت – حسبما ذكر المفسرون– متنوعة بين المعنى الحقيقي، ومعاني: النفي، والتقرير، والأمر، والتمني، والإنكار، والتبكيت، والتقريع، والتوبيخ، والتعجب... إلى غير ذلك من المعاني التي سوف نقف عليها من خلال التحليل إن شاء الله تعالى.

وقد جاء دخولها في هذه المواطن على الجملتين الفعلية والاسمية، إلا أن دخولها على الفعلية كان أكثر، حيث دخلت على الجملة الفعلية التي فعلها مضارعٌ ستاً وأربعين مرة، وعلى الفعلية التي فعلها ماضٍ ثلاثَ عَشْرَةَ مرةً، منها مرتان على الفعل الجامد "عسى"، ودخلت على الجملة الاسمية خمساً وثلاثين مرة.

وقبل الوقوف على الآيات التي وردت فيها "هل" في القرآن الكريم بالتحليل، أشير هنا إلى أنه نظراً لأن الاستفهام الحقيقيَّ يُسأل به عن شيء يجهله السائل، ويريد جواباً عنه من المسؤول، فإنه لم يرد منه شيء في القرآن الكريم إلا ما كان وارداً عن طريق الحكاية، كأن يرد في سياق حديثه تعالى عن خلقه، وتصوير ما دار وما يدور بينهم من حوارات، أو يرد على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو على لسان غيره من رسل الله – عليهم الصلاة والسلام – في حواراتهم مع أقوامهم... أو غير ذلك من المقامات التي تحكي حواراتٍ حقيقيةً، دارت بين اثنين، أو جماعة من الناس، وكان فيهم سائل ومسؤول على جهة الحقيقة....

وهذا لا يعني أن كل ما جاء من استفهامات، أو أوامر، أو نواهٍ، في القرآن الكريم، أو في غيره، عن طريق الحكاية كان حقيقياً، وإنما يكون

كذلك إذا ما كان حقيقياً قبل الحكاية، أما إذا كان غير ذلك، فإنه يكون بعد الحكاية على ما كان عليه قبلها، فإن كان الاستفهام قبل الحكاية للتقرير ظل بعد الحكاية للتقرير، وإن كان قبل الحكاية للأمر، فهو للأمر بعدها.... وهكذا.

كما أشير إلى أن قول العلماء عن الاستفهام، والأمر، والنهي: خرج عن معناه الحقيقي إلى معنىً آخر... ليس معناه أنه ترك الاستفهام، أو الأمر، أو النهي، كلية، وأصبح معناه أحد هذه المعاني التي ذكروها حسب كل سياق، وإنما معناه أنه أفاد هذه المعاني الجديدة في سياقاتها، مع بقائه متشبثاً بما وضع له من استفهام، أو أمر، أو نهي... كما أشير إلى أن الاستفهام الحقيقي قد لا يخلو في بعض السياقات من دلالات أخرى على شيء من هذه المعاني، كما سنرى.

وفيما يلي عرض بالتحليل لمواضع "هل" في القرآن الكريم:

مجيء "هل" بمعناها الحقيقي في القرآن الكريم

قلت – آنفاً – إن الاستفهام الحقيقي يقتضي أن يكون المستفهِم جاهلاً بما يستفهم عنه، وينتظر جواباً من المخاطب، وهذا لا يقع في كلام الله – عزَّ وجلَّ – إلا ما جاء منه عن طريق الحكاية، كما أشرت، ومنه في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٦٠.

الآية من سياق يأمر فيه الله عز وجل نبيه – صلى الله عليه وسلم – بأن يرد على اليهود نقمتهم من المسلمين وازدراءهم الإسلام، روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أن نفراً من اليهود أتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: أُومِنُ باللَّه، وما أُنزل

علينا، وما أُنزل على إبراهيم، وإسماعيل، إلى قوله:﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ ، فلما ذَكَرَ عيسى جحدوا نُبُوَّتَه، وقالوا: والله ما نعلم أهلَ دينٍ أقلَّ حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وما قبلها(١).

والخطاب في "أنبئكم" لليهود الذين أُمِرَ أن يناديهم ويخاطِبَهم بقوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ المائدة: ٥٩ ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين، والمعنى: قل يا محمد للمؤمنين: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ من حال هؤلاء الفاسقين؟ أولئك أسلافهم الذين لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت(٢).

والاستفهام في الآية محكيٌّ، جاء في مقام أمر الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بأن يقول لليهود، أو للمسلمين:﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾؛ ولذلك فهو حقيقي، بدليل أن نظم الآية ذكر لهم ما يترتب على الجواب المحذوف" نعم، أو نَبَّئْنا"، وهو: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

هذا ويصح حمل الاستفهام هنا على التهكم والتعجب، وإلى هذا ذهب الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – حيث جعل الاستفهام في الآية امتداداً للتهكم والتعجب المؤدَّيين بالاستفهام في الآية السابقة، يقول رحمه الله: "ثم اطَّرَدَ في التهكم بهم والعجب من أَفَنِ رأيهم مع تذكيرهم بمساويهم، فقال:﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ ... ﴾ إلخ (٣).

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب١٢/٣٨٩.

(٢) راجع: البحر المحيط٤/٣٠٥.

(٣) راجع: التحرير والتنوير٦/٢٤٥.

ويصح أيضاً حمل "هل" في الآية الكريمة على معنى "إنَّ"، فيكون المعنى – والله أعلم–: قل إني أنبئكم بشرٍّ من ذلك...

ومن الاستفهام الحقيقي في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ١١٢.

والاستفهام في الآية جاء على لسان الحواريين، وقد سألوا عيسى – عليه السلام– عن استطاعة الله عز وجل تنزيل مائدة من السماء.

والاستفهام هنا حقيقي، وقد دخلت فيه "هل" على الفعل المضارع، والدليل على أن الاستفهام في الآية حقيقي قول عيسى عليه السلام للحواريين في تكملة الآية:﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه– أقرأني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل تستطيع ربَّك، بالتاء ونصب رب، على تقدير: هل تستطيعُ سؤالَ ربِّك، وقد رجَّح المفسرون هذه القراءة على قراءة الجمهور؛ لأنها توجب شكَّ الحواريين في استطاعة عيسى سؤال ربه، أما قراءة الجمهور، فإنها توجب شكهم في استطاعة الله، وشكهم في استطاعة عيسى أهون وأيسر، ويؤيد هذا ما روي عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها أنها قالت: كانوا أعلمَ بالله من أن يقولوا: "هل يستطيع"، وإنما قالوا: هل تستطيع أن تسأل ربك؟(١).

ومنه قوله تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: ٤٤.

---

(١) راجع: جامع البيان ١١/٢٢٠، ومفاتيح الغيب ١٢/٤٦١.

والآية في تصوير حوار أهل الجنة – جعلنا الله تعالى منهم – مع أهل النار، وقد استقر كل فريق في مثواه الأبدي، ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار نداء لا يحجبه بُعد ما بين الجنة والنار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا على رسله وفي كتابه من الجنة ونعيمها حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب، وما وعدنا من النعيم حقاً؟، ومن هنا كان حذف المفعول في جانب وعد أهل النار، حيث لم يقل: وعدكم؛ ليشمل ما وعدهم وما وعد المؤمنين، فأصحاب الجنة يسألونهم عما وُعِدَ به الفريقان(١).

ورد أصحاب النار على أصحاب الجنة: "نعم" يؤكد كون الاستفهام حقيقياً؛ لأن غير الحقيقي لا يطلب معه جواب، وكون الاستفهام في هذا المقام حقيقياً لا يمنع – كما يرى الزمخشري – رحمه الله – من دلالته على اغتباط أصحاب الجنة بحالهم، وشماتتهم بأصحاب النار(٢). وتبكيتهم أيضاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ التوبة: ١٢٧.

والآية تحكي حال المنافقين مع المؤمنين والنبي – صلى الله عليه وسلم – فقد كانوا يجلسون بينهم، ويسمعون القرآن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإذا ما سمعوا سورة تفضحهم، وتكشف نفاقهم، كرهوا ذلك، وأرادوا الانصراف خُفية، فينظر بعضهم إلى بعض، يتغامزون بإشارات يفهمونها فيما بينهم، قائلين: هل يراكم من أحد؟.

فالاستفهام في الآية حقيقي، يسأل بعضهم بعضاً: هل يراكم من أحد من المسلمين في هذه اللحظة؟، يقولون ذلك عند إرادة الانصراف.

---

(١) راجع: جامع البيان١٢/٤٤٥، ومفاتيح الغيب ١٢/٤٦١.

(٢) راجع: الكشاف٢/١٥٧، ومفاتيح الغيب ١٤/٢٤٥.

واختلف في معنى قوله تعالى: ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾، فقال بعضهم: النظر هنا شبيه بالقول، وكأنه هو، ومعناه: ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال، وقال بعضهم: القول مقدر بعد النظر، والتقدير: نظر بعضهم إلى بعض قائلين: هل يراكم من أحد؟، وقال بعض الكوفيين: هذا النظر ليس معناه القول، ولكنه النظر الذي يجلب الاستفهام، كقول العرب: تناظروا أيهم أعلم، واجتمعوا أيهم أفقه، أي: اجتمعوا لينظروا، فهذا الذي يجلب الاستفهام(١).

وعليه، فجملة الاستفهام: "هل يراكم من أحد" بيان لجملة: "نظر بعضهم إلى بعض"، أو مقول لقول محذوف.

مجيء هل بمعنى العَرْض:

العَرْضُ: أن يَعْرِضَ المتكلم على المخاطب شيئاً في صورة الاستفهام؛ ليعلم مدى رغبته فيه، كأن يقول له: هل لك في كذا؟، و: هل لك إلى كذا؟، وهو أنسب المعاني المجازية للاستفهام لقربه من حقيقته(٢).

وقد جاء منه بـــ"هل" قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦.

والآية وردت في سياق الحوار الذي دار بين موسى والخَضِر – عليهما السلام – لما التقيا عند مجمع البحرين.

يروى أن موسى – عليه السلام – جلس يوماً في مجلس لبني إسرائيل، وخطب، فأبلغ، فقيل له: هل تعلم أحداً أعلمَ منك؟ قال: لا. فأوحى الله إليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، وفتاه هو يوشع بن نون ابن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب – عليهما السلام – وكان بن أخت موسى

(١) راجع: جامع البيان١٤/٥٨٢، والكشاف٢/٣٤٤، ومفاتيح الغيب١٦/١٧٦.

(٢) راجع: التحرير والتنوير١٦/٣٢٥، ٢٨/١٩٣.

بن عمران عليه السلام(١).

والاستفهام بـــ"هل" في الآية للعرض والاستئذان، يقول الرازي – رحمه الله –: "اعلم أن هذه الآية تدل على أن موسى – عليه السلام – راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخَضِر، فأحدها: أنه جعل نفسه تبعاً له؛ لأنه قال: هَلْ أَتَّبِعُكَ. وثانيها: أن استأذن في إثبات هذه التبعية، فإنه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك؟ وهذا مبالغة عظيمة في التواضع"(٢).

ومثلها في العرض قوله تعالى في السورة نفسها:﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ الكهف: ٩٤.

ومن مجيء "هل" للعرض أيضاً قوله تعالى:﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ طه: ٤٠.

ومثلها آية القصص:﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ القصص: ١٢.

ومن مجيئها للعرض كذلك قوله تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ طه: ١٢٠.

ومنه مشوباً بالتعجيب قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ سبأ: ٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الصف: ١٠.

---

(١) راجع: البحر المحيط٧/١٩٨.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب٢١/٤٨٣.

ومنه قوله تعالى:﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ النازعات: ١٨.

يقول الزمخشري – رحمه الله –: هل لك في كذا؟ و: هل لك إلى كذا؟، كما تقول: هل ترغب فيه؟، وهل ترغب إليه؟... بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول، ويستنزله بالمداراة من عتوه، كما أمر بذلك في قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾طه: ٤٤ (١).

مجيء هل بمعنى النفي:

النفي بـــ"هل"، أو مجيء "هل" بمعنى النفي في القرآن الكريم هو أكثر المعاني التي جاء عليها هذا الحرف في كتاب الله تعالى، وأكثر أحوال هذا المعنى أن تأتي فيه "هل" مقترنةً بالاستثناء بعدها؛ ليصبح الأسلوب معها بمعنى: ما... وإلا، أي: النفي والاستثناء، والذي يعد أقوى طرق القصر توكيداً للمعاني، وإثباتاً لها.

وقد جاءت "هل" في القرآن الكريم بمعنى النفي منفردة عن الاستثناء، ولكن هذا يعد قليلاً مقارنة بمجيئها للنفي مع الاستثناء.

وأشير هنا إلى أن النفي بـــ"هل" في القرآن الكريم قد يقترن بغيره من المعاني، كالإنكار، والتقريع، والتبكيت، وغير ذلك، كما سنرى.

وأشير أيضاً إلى أن هذا المعنى مما تختص به "هل" دون الهمزة؛ إذ لا يقال: أجاء إلا محمد؟.

ثم إن النفي بـــ"هل" يخالف النفي الصريح؛ لما في الاستفهام من إثارة للعقول، وحمل لها على التفكير في ذلك المعنى الذي صُوِّرَ بالاستفهام، ثم التفكير فيما وراء هذا الاستفهام، ثم الوصول إلى ما يريده المتكلم، يقول أحد الباحثين المحدثين: "الذي يبدو راجحاً أن معنى النفي المستفاد من "هل" لا

---

(١) راجع: الكشاف٤/٥٣٩.

يطابق النفي بحرف النفي، بل المعنى مختلف من جهتين: الأولى: أن النفي بـــ "هل" ليس نفياً محضاً، بل هو استفهام أُشرب معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجبٌ، أو استنكارٌ، أو غير ذلك من المعاني، فقوله تعالى مثلاً: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ التوبة: ٥٢، يختلف عن قولنا: ما تربصون بنا إلا إحدى الحسنين، فإن الأولى ليست نفياً خالصاً، فإن فيها من التحدي والاستخفاف ما لا يؤديه النفي المحض، ونحوه قوله تعالى ردًا على طلب الكفار حين طلبوا من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يَفْجُرَ لهم من الأرض ينبوعاً، أو يسقط السماء عليهم كسفاً، أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً... وما إلى ذلك، فقال:﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٣، فأنت ترى أن المعنى مختلف عن النفي المحض، وأنه لو جاء بالنفي فقال: قل سبحان ربي ما كنت إلا بشرًا رسولاً، ما كان يؤدي ما أداه الاستفهام من استنكار قولهم، والتعجب من طلبهم، فهو يسألهم:﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾، وسيكون الجواب حتماً: لا، لست إلا بشرًا، ومن هنا يكون التعجب والاستنكار، وهو أنه إذا كنتم تعلمون أني بشر، فكيف تطلبون مني مثل هذا ؟!... والجهة الثانية: أن النفي الصريح إنما هو إقرار من المُخْبِرِ، فإذا قال: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، أو قال: ما على الرسول إلا البلاغ، كان هذا إخباراً من المتكلم، أما إذا قال ذلك بطريق الاستفهام، فإن المقصود إشراك المخاطب في الأمر، فهو يريد الجواب منه، فإذا قال مثلاً: هل على الرسول إلا البلاغ؟، كان المخاطب مدعواً لأن يجيب، وسيكون جوابه المنتظر: لا، ليس على الرسول إلا البلاغ.... فالنفي ابتداء يفيد أن المتكلم يقول الأمر من نفسه، وأما في الاستفهام، فإنه يدع ذلك للمخاطب ليقوله"(١).

(١) راجع: معاني النحو٤/٢٤٣.

فمجيء المعنى بطريق الخبر معناه أن المتكلم يقرر الحكم ابتداء، ومجيئه بطريق الاستفهام معناه أن المتكلم يريد أن يُنطِقَ المخاطب بالحكم، ويقرره به.

وإليك مواضع مجيء هل للنفي في القرآن الكريم:

أولاً: مجيئها في أسلوب القصر بمعنى النفي والاستثناء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ البقرة: ٢١٠.

والمعنى: ما ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، والنظر هنا بمعنى الانتظار، يقال: نَظَرْتُهُ، وانْتَظَرْتُه: إذا ارتقبت حضوره(١)، وفي الآية مجاز بحذف مضاف، والتقدير: هل ينظرون إلا أن يأتيهم عذاب الله، أو أمر الله، أو بأس الله، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً بعد لفظ الجلالة، والتقدير: أن يأتيهم الله ببأسه، أو بعذابه، أو بنقمته، يقول الزمخشري – رحمه الله –: "إتيان اللَّه: إتيان أمره وبأسه، كقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ النحل: ٣٣، و: ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ الأعراف: ٤، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً بمعنى: أن يأتيهم الله ببأسه، أو بنقمته، للدلالة عليه بقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ الأنفال: ٤٩... فإن قلت: لِمَ يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت: لأنّ الغمام مَظَنَّةُ الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول؛ لأن الشر إذا جاء من حيث لا يُحتسب كان أغَمَّ، كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يُحتسب كان أسرَّ، فكيف إذا جاء الشر من حيث يُحتسب الخير؛ ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظِع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث"(٢).

---

(١) راجع: لسان العرب: ن. ظ. ر.

(٢) راجع: الكشاف ١/٢٣٠.

والأسلوب في الآية مبني على القصر، والقصر فيها من قبيل قصر الموصوف على الصفة، حيث قصر الانتظار الواقع منهم على كونه لمجيء عذاب الله أو بأسه في ظلل من الغمام، ومجيء الملائكة...

ويقال مثل هذا في قوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ الأنعام: ١٥٨.

ويضاف إليه أن الاستفهام هنا استئناف بيانيٌّ، نشأ من قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الأنعام: ١٥٧، وهو يحتمل الوعيد، ويحتمل التهكم، فإن كان هذا وعيداً وتهديداً فهو ناشئ عن جملة:﴿ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الأنعام: ١٥٧ لإثارة سؤال سائل يقول: متى يكون جزاؤهم؟، وإن كان تهكماً بهم على صدفهم عن الآيات التي جاءتهم، وتطلعهم إلى آيات أعظم منها في اعتقادهم، فهو ناشئ عن جملة:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ الأنعام: ١٥٧؛ لأنه يثير سؤالَ سائلٍ يقول: ماذا كانوا يترقبون من الآيات فوق الآيات التي جاءتهم؟(١).

ومثل ما سبق قوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾النحل: ٣٣.

وقوله تعالى:﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر: ٤٣.

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الزخرف: ٦٦.

---

(١) راجع: التحرير والتنوير ١٨٣/٨.

وقوله تعالى:﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ محمد: ١٨.

والنظر في الآيات كلها بمعنى الانتظار، وقد صُرِّح بالانتظار في آية واحدة، وهي قوله تعالى:﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ يونس: ١٠٢.

وقد جعل الطاهر بن عاشور – رحمه الله – الاستفهام في الآيات السابقة إنكارياً بمعنى النفي مشوباً بالتهكم، وكنا قد نقلنا من قبل أن الاستفهام بـــ"هل" لا يكون إنكارياً، ولا توبيخياً(١).

ومن مجي "هل" للنفي غير آيات النظر والانتظار قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الأنعام: ٤٧.

والمعنى: ما يهلك إلا القوم الظالمون، والقصر فيها من باب قصر الصفة على الموصوف، حيث قُصرَ فيها الإهلاك على القوم الظالمين.

ومن مجيئها بمعنى النفي في سياق القصر قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٤٧.

والمعنى: ما يجزون إلا ما كانوا يعملون، وفي الآية حذف لحرف جر، والتقدير: هل يجزون إلا بما كانوا يعملون، أو: إلا على ما كانوا يعملون(٢)، والقصر فيها من باب قصر الموصوف، وهو الجزاء الواقع على هؤلاء الذين كذبوا بآيات الله ولقاء الآخرة، على الصفة، وهي كونه مستحقاً وواقعاً عليهم

(١) راجع: التحرير والتنوير ١٠٢/٢٦.
(٢) راجع: مفاتيح الغيب ٣٦٧/١٥.

بسبب عملهم الذي كانوا يعملون.

ومثل الآية قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ سبأ: ٣٣.

ومثلها قوله تعالى:﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النمل: ٩٠.

وقريب منها قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ يونس: ٥٢.

وقد ذكر هنا حرف الجر الذي حذف من الآيات السابقة، وهو الباء، أما "على" فلم يصرح بها.

ومن مجيء "هل" بمعنى النفي في أسلوب قصر قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ التوبة: ٥٢.

والمعنى: ما تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، ونحن نتربص بكم إحدى السوأتين من العواقب: إمّا ﴿ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾، وهو قارعة من السماء، كما نزلت على عاد وثمود، أو بعذاب {بِأَيْدِينا}، وهو القتل على الكفر(١).

والقصر في الآية من باب قصر الموصوف على الصفة، قصر التربص الصادر منهم على كونه بواحدة من اثنتين.

ومنه قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام:﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا

(١) راجع: الكشاف٢/٣٠٦.

﴿كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يوسف: ٦٤.

والمعنى – كما ذكره المفسرون– هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل؟!، يريد: إنكم قلتم في يوسف:﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، كما تقولونه في أخيه، ثم خنتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك، فهل يكون هاهنا أَمَانِيٌّ إلا ما كان هناك؟!، يَعْنِي لَمَّا لم يحصُل الأمانُ هناك، فكذلك لا يحصُلُ هاهنا، وكأنه يقول لهم: كيف آمنكم عليه؟!، وهل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأَخيه من قَبْلُ، تُغَيِّبونه عني، وتحولون بيني وبينه؟!، ثم قال: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً}، فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم(١).

ويفهم من هذا أن الاستفهام في الآية بمعنى النفي المشوب بالإنكار والتعجب، والتقدير: ما آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على يوسف من قبل... والقصر فيها من باب قصر الموصوف "ائتمانهم عليه" على الصفة "كونه مثل ائتمانهم على أخيه من قبل".

ومنه قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النحل: ٣٥.

والمعنى: فما على الرسل إلا البلاغ، والقصر فيها من باب قصر الموصوف على الصفة كذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ

---

(١) راجع: جامع البيان١٦/١٦٠، والكشاف٢/٤٨٥، ومفاتيح الغيب١٨/٤٧٩، وتفسير ابن كثير٤/٣٩٨، تفسير البغوي٢/٥٠١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/٢٥٩، والتحرير والتنوير١٣/١٦.

لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾الإسراء: ٩٣.

والمعنى: ما كنت إلا بشراً رسولاً، والقصر فيها من قصر الموصوف على الصفة.

ومثله قوله تعالى:﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣.

إذ المعنى: ما هذا إلا بشر مثلكم، والقصر فيه من باب قصر الموصوف على الصفة.

ومنه قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ سبأ: ١٧.

والمعنى: وما نجازي إلا الكفور، والقصر فيه من قبيل قصر الصفة على الموصوف.

ومثله قوله تعالى:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف: ٣٥.

إذ المعنى: فما يهلك إلا القوم الفاسقون، والقصر من باب قصر الصفة على الموصوف.

ومنه قوله تعالى:﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ الرحمن: ٦٠، والمعنى: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، والقصر فيه من باب قصر الموصوف على الصفة.

وقد جاءت "هل" في آية واحدة مرتين بمعنيين مختلفين، الأولى منهما جاءت فيها بمعنى النفي مع الاستثناء، والثانية منهما جاءت فيها بمعنى التمني، وذلك في قوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ

نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٣.

ثانياً: مجيئها بمعنى النفي في غير القصر بالنفي والاستثناء:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ آل عمران: ١٥٤.

وقد نزلت تحكي حال المؤمنين في غزوة أحد، حيث كانوا قد ظفروا بعدوهم في ميدان المعركة في بادئ الأمر، وأخذوا في جمع الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك، نزلوا من أماكنهم التي وضعهم النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها، وكان قد طلب منهم ألا يغادروها دون إذن منه، إلا أنهم نزلوا لجمع الغنائم مع إخوانهم الذين كانوا يقاتلون في الميدان، وعندئذ طوّق جيش المشركين جيش المؤمنين، وأكثروا فيهم القتل، فاشتد خوف المؤمنين، فأنزل الله عليهم النعاس لما اشتد خوفهم، فناموا جميعاً، وكان السيف يسقط من يد أحدهم، فيأخذه، ثم يسقط، وهكذا؛ ليكون ذلك أمناً لهم، وثقة أن الله لن يضيعهم، بخلاف المنافقين الذين أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وكانوا يقولون في أنفسهم: لو كان محمد محقاً في دعواه ما سلط الله عليه الكافرين(١).

وقد جاء الاستفهام: ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ﴾ على لسان رأس المنافقين عبد الله بنِ أُبَيِّ بن سَلول، ومُعَتِّب بنِ قُشَير، والقائل هو الثاني منهما، وقيل: بل الأول، وقاله لما شاوَره النبي – صلى اللَّهُ عليه وسلم – في

(١) راجع: جامع البيان٧/٣١٥، ومفاتيح الغيب٩/٣٩٢.

هذه الواقعة، أشار عليه بأن لا يخرج من المدينة، ثم إن الصحابة أَلَحُّوا علَى النبي – صلى الله عليه وسلم – في أن يخرج إليهم، فغضب عبد الله بنُ أُبَيٍّ من ذلك، فقال: عصاني وأطاع الْوِلْدَانَ، ثم لما كثُر القتل في بني الْخَزْرَجِ، ورجع عبد الله بن أُبَيٍّ، قيل له: قُتِلَ بنو الخزْرَجِ، فَقَالَ: هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، يَعْنِي أَنَّ محمداً لَم يقبل قولي حين أمرته بأن يسكن في المدينة، ولا يخرج منها(١).

والاستفهام هنا إنكاريٌّ بمعنى النفي، والمعنى: ليس لنا من الأمر من شيء، ينفون عن أنفسهم القدرة على ألا يخرجوا لملاقاة العدو، وقد علل الطاهر بن عاشور – رحمه الله – حمل الاستفهام على الإنكار والنفي بمجيء "مِن" قبل النكرة "شيء"، وقال بأن هذا من خصائص النفي(٢).

وقد دخلت "هل" هنا على الجملة الاسمية، و"لنا" خبر مقدم، و"شيء" مبتدأ مؤخر، مجرور بحرف الجر الزائد، ومحله الرفع.

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ٥٠.

و﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ مَثَلٌ للضالّ والمهتدي، ويجوز أن يكون مثلاً لمن اتبع ما يُوحَى إليه ومن لم يتبع، أو لمن ادّعى المستقيم، وهو النبوة، والمحال، وهو الإلهية أو المَلَكية، ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فلا تكونوا ضالين أشباه العميان، أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر، أو فتعلموا أن اتباع ما يوحَى إليَّ مما لا بدّ لي منه(٣).

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب٩/٣٩٣، ٣٩٥.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب٩/٣٩٥، والتحرير والتنوير٤/١٣٥.

(٣) راجع: الكشاف٢/٩٤.

والاستفهام الأول: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ بمعنى النفي، والتوبيخ، أما الاستفهام الثاني: ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾، فهو للإنكار، وهو مترتب على كل ما سبق في الآية من عدم ادعائه – صلى الله عليه وسلم – المِلْكية، ولا الألوهية، ولا الملائكية، وعدم استواء الأعمى والبصير، وهذا ما يفهم من كلام الزمخشري السابق، ويجوز أن يكون متفرعاً – كما يرى الطاهر بن عاشور رحمه الله – من الاستفهام الأول؛ لأن عدم استواء الأعمى والبصير بَدَهيٌّ، لا يَسَعُهم إلا الاعتراف بعدم استوائهما، فلا جَرَمَ أن يتفرَّع عليه إنكار عدم تفكرهم في أنهم بأيِّهما أشبه(١).

ومثل الاستفهام في هذه الآية الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ الرعد: ١٦.

ومن النفي المشوب بالإنكار والتهكم قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام: الأنعام: ١٤٨.

والآية إخبار لما سوف يقوله المشركون، ولما قالوه، وهي تحمل قضية عقدية كبرى، وهي ادعاؤهم تعليق حصول شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله، بمشيئته تعالى وإرادته، ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك، وهذا هو مذهب الجبرية بعينه، وقد كذبهم الله تعالى والذين ادَّعَوا ذلك من قبلهم، وذكر أنهم قد جاؤوا بالتكذيب المطلق؛ لأن الله – عَزَّ وجلَّ – رَكَّبَ في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح

(١) راجع: التحرير والتنوير ٢٤٣/٧.

وإرادتها، والرسلُ أخبروا بذلك، فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته، فقد كذب التكذيب كله، وهو تكذيب الله، وكتبه، ورسله، ونَبَذَ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى أُنزل عليهم العذاب بتكذيبهم، وذاقوا البأس...والمقصود بالعلم الأمر المعلوم الذي يصح الاحتجاج به، وهذا من التهكم، والإفحام، والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة، والمعنى: ليس عندكم من علم تحتجون به، فتظهرونه لنا(١).

أما الاستفهام في قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ يونس: ٣٤، ٣٥، فهو للإنكار، والنفي، وحمل المخاطبين على الإقرار بالنفي؛ إذ المعنى – والله أعلم –: ليس من شركائكم من يفعل ذلك، وإنما سيق لهم الكلام بطريق الاستفهام لأن الكلام – كما يقول الرازي رحمه الله – إذا كان ظاهراً جلياً، ثم ذكر على سبيل الاستفهام وتفويض الجواب إلى المسؤول، كان ذلك أبلغ وأوقع في القلب(٢).

ومثله قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَل مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الروم: ٤٠.

إذ المعنى: ما من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، يقول الطبري رحمه الله: فأخبرهم أنّ إلههم هو الله الذي أنعمَ عليهم بهذه النعم، وتفرَّد لهم بها. ثم قال: هل من شُركائكم مَن يفعل مِنْ ذلكم من شيء، فتشركوه في عبادتكم إياي، وتجعلوه لي نِدًّا وعِدْلا؟ فإن لم يكن من شُركائكم مَنْ يفعل مِنْ

(١) راجع: الكشاف١٣٣/٢، ومفاتيح الغيب١٧٣/١٣، والبحر المحيط٦٨٢/٤، والتحرير والتنوير١٤٩/٨.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب٢٤٨/١٧.

ذلكم مِن شيء، ففي الذي عَددت عليكم من نعمتي، وتفردت لكم بأياديّ، دلالاتٌ لكم إن كنتم تَعقلون مواقعَ الحق والباطل، والجَوْر والإنصاف(١).

ومثله في الإنكار والنفي الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود: ٢٤.

والآية تشبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، والتشبيه هنا من قبيل التشبيه الملفوف، حيث تعدد المشبه بطريق التثنية، وتعدد المشبه به بطريق العطف، والأسلوب أشبه بطريق اللف والنشر، وطريق الجمع والتفريق(٢).

وجملة الاستفهام: {هل يستويان مثلاً} واقعة موقع البيان للغرض من التشبيه قبلها، وهو نفي استواء حال الفريقين، ونفي استوائهما كناية عن التفضيل، والمُفضَّلُ منهما معلوم من المقام، وهو الفريق المشبه بالسميع والبصير، والاستفهام فيها للنفي والإنكار، نفي أن يستويا، وإنكارٌ على المخاطبين أن لا يروا عدم الاستواء(٣).

وقد جاء نفي استواء الفريقين وإنكاره بطريق الاستفهام بـــ"هل" في القرآن الكريم في أربع مواضع غير الآية السابقة، وهي قوله تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٧٥، وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) راجع: جامع البيان٣/٢٧٨، والتحرير والتنوير ٢١/١٠٧.
(٢) راجع: جامع البيان١٥/٢٩١، والكشاف٢/٣٩٧.
(٣) راجع: تفسير البغوي٧/١١٨، والتحرير والتنوير ١٢/٣٤.

مُّسْتَقِيمٍ ﴾ النحل: ٧٦، وقوله تعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ٩، وقوله تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٢٩.

ومن مجيء "هل" بمعنى النفي والإنكار قوله تعالى:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم: ٦٥، وقوله تعالى:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ مريم: ٩٨، وقوله تعالى:﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾ الحج: ١٥، وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فاطر: ٣.

ومن مجيئها بمعنى الإنكار، والنفي، والتبكيت، قوله تعالى:﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ الشعراء: ٧٢، وقوله تعالى:﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ الشعراء: ٩٢، ٩٣، وقوله تعالى:﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الروم: ٢٨.

ومن مجيء "هل" للنفي الخالص المجرد عن غيره من المعاني قوله تعالى:﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ الحاقة: ٨؛ إذ المعنى والله أعلم: لا ترى لهم من باقية، وإنما كان الاستفهام هنا للنفي فقط؛ لأن المخاطب، وهو النبي –

صلى الله عليه وسلم – أو غيره، لا يدعي أنه يرى لعادٍ باقية متبقية بعد أن أخذها الله بالريح الصرصر العاتية، المستمرة عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، فلا إنكار، ولا تبكيت، ولا تكذيب.

ومثله في إفادة النفي الخالص المجرد من غيره من المعاني قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ الملك: ٣.

مجيء هل بمعنى التقرير:

والتقرير نوعان: تقريرٌ بمعنى التثبيت– أي: بمعنى قد– وتقريرٌ بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بالفعل، أو بأنه الفاعل، أو الإقرار بمضمون الكلام والاعتراف به، وقد سبق أن الثاني لا يتأتى بـــ"هل".

وقد جاء التقرير الذي بمعنى التثبيت بـــ"هل" في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، هي:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: ٢٤٦.

حيث تصور هذه الآية ما حدث من بعض كبراء بني إسرائيل من بعد موسى – عليه السلام – حيث طلبوا من نبي لهم أن يولي عليهم ملكاً يقودهم في القتال ضد عدوهم، وكان هذا النبي يعلم من حالهم أنهم جبناء لن يقاتلوا، وأنهم يكذبون، فأراد أن يتثبت من هذا، فسألهم هذا السؤال، والمعنى – كما ذكر الزمخشري رحمه الله –: هل قاربتم أن لا تقاتلوا ؟ يعني: هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم أن لا تقاتلوا، بمعنى أتوقع

جبنكم عن القتال، فأدخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير، وتثبيت أنّ المتوقع كائنٌ، وأنه صائب في توقعه(١).

ومثل الآية قوله تعالى:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ محمد: ٢٢.

ومن التقرير بمعنى التثبيت قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ الإنسان: ١. إذ المعنى: قد أتى على الإنسان... وقد وقفنا على الآية قبل.

ومنه مع الاقتران بالتعجيب من عدم إفلاتهم من العذاب(٢) قوله تعالى: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ المطففين: ٣٦.

ومنه مع الاقتران بتنبيه المخاطب على قبح ما فعل في الماضي، وحمله على استقباحه، مع الإشفاق عليه، والنصح له، دون معاتبة، قوله تعالى حكاية عن يوسف – عليه السلام – مع إخوته:﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ يوسف: ٨٩، يقول الزمخشري رحمه الله : "أتاهم من جهة الدين، وكان حليماً موفقاً، فكلمهم مستفهماً عن وجه القبح الذي يجب أن يُرَاعِيَهُ التائب، فقال: هل علمتم قبحَ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ، لا تعلمون قبحه؛ فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه، فتُبتم إلى الله منه؛ لأنّ علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً، إيثاراً لحق الله على حق نفسه، في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب، وينفُثُ المصدور، ويَتَشَفَّى المَغِيظُ المُحْنِقُ، ويُدرِكُ ثأرَه المَوتُورُ"(٣).

---

(١) راجع: الكشاف١/٢٦٣.

(٢) راجع: التحرير والتنوير٣٠/٢١٥.

(٣) راجع: الكشاف٢/٤٩٢.

وجعل الرازي – رحمه الله – الاستفهام في الآية للتقرير مع تعظيم ما فعلوه بيوسف وتقبيحه، يقول رحمه الله: وقوله: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ} استفهامٌ يفيد تعظيم الواقعة، ومعناه: ما أعظمَ ما ارتكبتم في يوسف، وما أقبحَ ما أقدمتم عليه، وهو كما يقال للمذنب: هل تدري مَنْ عصيتَ؟ وهل تعرف مَنْ خالفتَ؟(١).

وجعله الطاهر بن عاشور – رحمه الله – للتقرير مع التوبيخ، حيث قال: الاستفهام مستعمل في التوبيخ، وهل مفيدة للتحقيق؛ لأنها بمعنى قد في الاستفهام، فهو توبيخ على ما يعلمونه مُحَقَّقاً من أفعالهم مع يوسف – عليه السلام – وأخيه(٢).

وقد يقترن التقرير بالتشويق للكلام الذي يأتي بعد الاستفهام، فيؤتى بالاستفهام التقريري، ثم يتلوه تفصيل الشيء المستفهم عنه، وقد جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ الكهف: ١٠٣: ١٠٦.

ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ الشعراء: ٢٢١ : ٢٢٣.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه: ٩ – ١٢.

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب١٨/٥٠٤.

(٢) راجع: التحرير والتنوير١٣/٤٧.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ ص: ٢١، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ الذاريات: ٢٤، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ النازعات: ١٥: ١٦، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾ البروج: ١٧، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ الغاشية: ١.

مجيء هل بمعنى الأمر:

مجيء الاستفهام بالهمزة وبـــ" هل" بمعنى الأمر ورد كثيراً في كلام العرب، وفي القرآن الكريم، وقد علل العلماء لترك الأمر المباشر إلى الاستفهام بأن في الاستفهام إشارةً إلى عناد المخاطب وإصراره على موقفه، أو بأنه لا يستجيب لما طلب منه، أو بأنه لا يفهم ما يشرح له من مسائل العلم، وبأن فيه تحضيضاً على الامتثال أكثر مما في الأمر الصريح، يقول الزمخشري – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ آل عمران: ٢٠: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ من اليهود والنصارى، وَالْأُمِّيِّينَ والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب، أَأَسْلَمْتُمْ يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام، ويقتضى حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟ وهذا كقولك لمن لَخَّصْتَ له المسألة، ولم تُبق من طرق البيان والكشف طريقاً إلا سلكته: هل فهمتَها لا أم لك؟، ومنه قوله عزّ وعلا: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: ٩١ ، بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر. وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف؛ لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق، وللمعاندة بعد تجلى الحجة ما يضرب أسداداً بينه وبين الإذعان،

وكذلك في: هل فهمتَها؟ توبيخ بالبلادة وكَلَّةِ القريحة. وفي:﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه(١).

وقد ورد الاستفهام بـــ"هل" بمعنى الأمر في القرآن الكريم ثلاث مرات، هي:

قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾المائدة: ٩١.

ومعناه – والله أعلم –: انتهوا عنهما، يقول الزمخشري – رحمه الله–: وقوله: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} من أبلغ ما يُنهى به، كأنه قيل: قد تُلِيَ عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون؟، أم أنتم على ما كنتم عليه، كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟(٢).

ويقول أبو السعود رحمه الله: ثم أعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتَّباً على ما تقدم من أصناف الصوارف، فقيل: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ} إيذاناً بأن الأمر في الزجر والتحذير وكشفِ ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية، وأن الأعذارَ قد انقطعت بالكلية(٣).

وقد رُوي عن أبي ميسرة قال، قال عمر: اللهمّ بيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافيًا! قال: فنزلت الآية التي في البقرة:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ البقرة: ٢١٩. قال: فدُعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافيًا! فنزلت الآية التي في النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ النساء:

---

(١) راجع: الكشاف١/٣٠٥.

(٢) راجع: الكشاف٢/٥٩.

(٣) راجع: إرشاد العقل السليم لأبي السعود٣/٧٦.

٤٣. قال: وكان مُنَادِي النبي – صلى الله عليه وسلم – يُنادي إذا حضرت الصلاة: لا يقربنّ الصلاةَ السكرانُ! قال: فدُعِي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافيًا! قال: فنزلت الآية التي في المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ﴾ المائدة: ٩٠ إلى قوله:﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. فلما انتهى إلى قوله:﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا! انتهينا![١].

وما قول عمر – رضي الله عنه – انتهينا! انتهينا! إلا لأنه حمل الاستفهام على معنى الأمر، حيث كان يطلب بياناً شافياً في الخمر.

ومثله قوله تعالى:﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾الأنبياء: ٨٠.

واللبوس: الدروع، وداوود – عليه السلام – أول من علمه الله صنعها، والاستفهام:﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ معناه الأمر، أي: فاشكروني أيها الناس على نعمتي عليكم بما علَّمتكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب، وأخرج الأمر في صورة الاستفهام للمبالغة في التقريع[٢].

ومثله قوله تعالى:﴿قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ الصافات: ٥٤، والمعنى: فهل أنتم مطلعون إياي على حال ذلك القرين فأطلع أنا؟ يعني: انظروا إلى حاله حتى أنظر إليه، فإن نظري إليه متوقف على نظركم[٣].

أما قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ هود: ١٤، فإن كان الخطاب فيه

---

(١) راجع: جامع البيان١٠/٥٦٦.

(٢) راجع: جامع البيان١٨/٤٨١، والبحر المحيط٧/٤٥٧، ومفاتيح الغيب٢٢/١٦٩، وإرشاد العقل السليم٦/٨٠.

(٣) راجع: حاشية الطيبي على الكشاف١٣/١٥٠.

للمشركين، والواو في: "يستجيبوا" راجع لشركائهم، فالاستفهام في: "فهل أنتم مسلمون" يجوز أن يكون حقيقياً، ومعناه: فهل أنتم مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة، وهذا مذهب الزمخشري – رحمه الله – (١)، ويجوز أن يكون بمعنى الأمر، والمعنى: أما وقد اتضح عجزكم وعجز شركائكم عن الإتيان بعشر سور مثله، ولو عن طريق الافتراء، فأسلموا، وهذا يفهم من كلام الطبري رحمه الله: وأيقنوا أيضاً أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة(٢).

وإن كان الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين فالاستفهام للحث على المداومة على الإسلام، وقد جعله الزمخشري – رحمه الله – حقيقياً، ولكن معناه: فهل أنتم مخلصون؟(٣)، ونرى أنه يمكن حمله بعد ذلك على الأمر، فيكون المعنى: أخلصوا. والله أعلم.

ومثله في احتمال الوجهين قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾الأنبياء: ١٠٨ ، والمعنى: فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك، ومتبرّئون من عبادة ما دونه من آلهتكم؟، ويجوز أن يكون المعنى: فأسلموا(٤).

---

(١) راجع: الكشاف٢/٣٩٤.

(٢) راجع: جامع البيان١٥/٢٦١.

(٣) راجع: الكشاف٢/٣٩٤.

(٤) راجع: جامع البيان١٨/٥٥٣، والكشاف٣/٢٠٨، والبحر المحيط٧/٤٧٣، والتحرير والتنوير١٧/١٧٢.

مجيء هل بمعنى التحضيض:

والتحضيض: المبالغة في الحضّ على الشيء، وهو طلبه والحثّ على فعله، وهو داخل فى حيّز الأمر، وحروفه: هلّا وألّا ولولَا، ولومَا، بشرط دخولها على المضارع، فإذا دخلت على الماضي كانت إما للتنديم، وإما للتوبيخ على ترك الفعل(١).

ومن مجيء "هل" للتحضيض في آيات الذكر الحكيم قوله تعالى:﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٥، وأصله: فهل من متذكر، ثم حدث الإبدال المعروف في علم الصرف، وقد وردت هذه الجملة الاستفهامية في سورة القمر ست مرات، ولم ترد في غيرها، والتحضيض فيها – كما ذكر الطاهر بن عاشور رحمه الله – على التذكر بهذه الآيات واستقصاء خبرها(٢)، والمعنى عنده: فهلّا تتذكرون؟.

وأرى أن الاستفهام في هذه الآيات بمعنى الأمر، والمعنى: فتذكروا، وإن كان ثَمّ تحضيض، فهو مفاد من الأمر بعد حمل الاستفهام عليه؛ إذ التحضيض متفرع عن الأمر، كما عرفنا قبلُ.

مجيء هل بمعنى التوبيخ، والتبكيت:

التوبيخ، والتبكيت، والتقريع، والتأنيب، والتعنيف، والتثريب، واللوم، معانٍ للاستفهام، ذكرها المفسرون فُرادى في بعض الآيات، أو مجتمعاتٍ، مثنى، وثلاثَ، ورباعَ، في سياق واحد.

وهذه المعاني لها في كتب اللغة دلالات متقاربة، حتى إن كثيراً من

---

(١) راجع: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي١/١٣١، وأمالي ابن الشجري ١/٤٢٥، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس الحموي١/١٤٠، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد٩/٤٤٨٣.

(٢) راجع: التحرير والتنوير٢٧/١٨٧.

اللغويين فسر بعضها ببعض، وجعلها من قبيل المترادفات، فقد قالوا: التوبيخ: اللوم الشديد العنيف، وقيل التقريع على جهة الزجر، والتَّبْكِيتُ: كالتَّقْرِيعِ، والتَّعْنِيفِ، يقال: بَكَتَه يَبْكُتُه بَكْتاً، وبَكَّتَه: ضرَبَه بالسَّيْفِ وَالْعَصَا وَنَحْوِهِمَا، وبَكَّتَه تَبْكِيتاً: إِذا قَرَّعَه بالعَذْل تَقْرِيعاً، وبَكَتَه يَبْكُتُه بَكْتاً، وبَكَّتَه: كِلَاهُمَا اسْتَقْبَلَهُ بِمَا يَكْرَه، وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟: تُسْأَلُ تَبْكِيتاً لوائِدِها، والتَّبْكِيتُ: التَّقْرِيعُ والتَّوْبِيخُ، يُقَالُ لَهُ: يَا فَاسِقُ، أَمَا اسْتَحَيْتَ؟ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ؟، وبَكَتَه بالحُجَّة: أَي غَلَبه، والتبكيت: إلزام الخصم بما يعتقده من الحجة، وقالوا: التقريع: التأنيب، وفي لسان العرب: أَنَّبَ الرَّجُلَ تأْنِيباً: عَنَّفَه، ولامَه، ووَبَّخَه، وَقِيلَ: بَكَّتَه. والتَّأْنِيبُ: أَشَدُّ العَذْلِ، وَهُوَ التَّوْبِيخُ والتَّثْرِيبُ. والتَّأْنِيبُ: المُبالغة فِي التَّوْبِيخ والتَّعْنِيف. والتَّعْنِيفُ: التوْبِيخُ والتقْرِيعُ، واللَّوم؛ يُقَالُ: أَعْنَفْتُه وعَنَّفْتُه، وقالوا: التثريب: التقريع والتوبيخ(١).

إلى غير ذلك مما يدل على تقارب مدلول هذه المصطلحات وتداخلها، واستعمال بعضها بياناً لبعض، مما جعل المفسرين ينهجون هذا المنهج، وكثيراً ما يجمعون بين أكثر من مصطلح في سياق واحد، كأن يقولوا: الاستفهام هنا للتوبيخ، والتبكيت، والتقريع، والتعنيف... إلى غير ذلك.

ومثل المصطلحات السابقة في التداخل والتقارب، وتفسير بعضها ببعض التهكم، والسخرية، والاستهزاء، والاستخفاف، ففي كتب المعاجم واللغة: التَّهَكُّم، والأُهْكُومة: الاسْتِهزَاءُ، والاستخفاف، والهُزْء، وتهكّم به: تهزّأ به، وسَخِرَ منه وبه، أي: استهزأ. والسُّخَرَة: الضُّحَكَةُ، وأما السُّخْرةُ فما تَسَخَّرْتَ من خادم ودابة بلا أجر ولا ثمن. تقول: هم لك سُخْرَةً وسُخْرِيّاً. والهُزْءُ:

---

(١) راجع: العين، والصحاح، وجمهرة اللغة، ومقاييس اللغة، ولسان العرب، والمخصص، والنهاية في غريب الحديث والأثر "و. ب. خ – ب. ك. ت – ق. ر.ع – أ . ن. ب – ع. ن. ف".

السُّخْرية، يقال: هَزِيءَ به يَهْزأُ به، واسْتَهزأَ به، وتَهَزَّأَ[1].

إلا أن أبا هلال – رحمه الله – فَرَقَ بين الاستهزاء والسخرية بأن الاستهزاء يكون من غير صدور فعل من المُستَهزَأ به، والسخرية تكون لصدور فعل منه، يستوجب السخرية، والهزء يجْرِي مجْرى الْعَبَث؛ ولِهَذَا جَازَ هزئت مثل عبثت فَلَا يَقْتَضِي معنى التسخير[2].

ومما ورد من هذا في الاستفهام بـــ"هل" قوله تعالى:﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ إبراهيم: ٢١.

حيث قال الزمخشري– رحمه الله – في بيان معنى الاستفهام في الآية: فإن قلت: فما معنى قوله:﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾؟ قلت: الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخاً لهم، وعتاباً على استتباعهم واستغوائهم. وقولهم:﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا ﴾ من باب التبكيت؛ لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم، فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم: بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدَوهم ولم يضلوهم، إما مُوَرِّكِينَ الذنبَ في ضلالهم وإضلالهم على الله، كما حكى الله عنهم:﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨، ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ النحل: ٣٥، يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا، ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين:﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ المجادلة: ١٨، وإما أن يكون المعنى: لو كنا من أهل اللطف، فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان،

---

(١) راجع: المواد اللغوية لهذه الكلمات في الكتب السابقة.

(٢) راجع: الفروق اللغوية صـــ٢٥٤.

وقيل: معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم، أي: لأغنينا عنكم، وسلكنا بكم طريق النجاة، كما سلكنا بكم طريق الهَلَكَة(١).

فالضعفاء يبكتون المستكبرين قائلين: فأظهروا مكانتكم عند الله التي كنتم تدَّعونها وتُغرروننا بها في الدنيا(٢).

ومثلها: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ غافر: ٤٧.

مجيء هل بمعنى التمني:

من المعلوم أن التمني يكون في الأمور غير الممكنة، أو الممكنة بعيدة المنال، والاستفهام يكون في الأمور الغير المجزوم بانتفائها؛ ولذلك قد يُتمنى بـــ"هل" في بعض المقامات، وهي تلك المقامات التي يحرص فيها المتكلم على إظهار أمنيته في صورة الممكن لكمال العناية بما يتمنى(٣).

ومما جاء منه في القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن الكفار في اليوم الآخر: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٣.

وموضع الشاهد قولهم: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾، حيث تمنَّوا أن يكون لهم شفعاء، أو يردوا إلى الحياة الدنيا؛ ليعملوا صالحاً؛ وذلك أنهم قد علموا أنه لا شفيع لهم، وإنما يتمنون أن يكون لهم هناك شفعاء، فيردوا بشفاعتهم، فيعملوا ما كانوا لا يعملونه من الطاعة؛

---

(١) راجع: الكشاف٢/٥٣٤.

(٢) راجع: التحرير والتنوير١٣/٢١٦.

(٣) راجع: الإيضاح٣/٥٣، وشروح التلخيص٢/٢٤٠.

فيصير به المعنى إلى أنه كأنهم قالوا: إن نُرزق شفعاء يشفعوا لنا أو نُرْدَد، وتقديره مع رفع نرد على قراءة الجماعة: أن نُرزق شفعاء يشفعوا لنا، وأن نردد نعمل غير الذي كنا نعمل. وذلك أنهم مع نصب "نرد" تمنوا الشفعاء وقطعوا بالشفاعة، وتمنوا الرد أيضًا، وضَمِنُوا عمل ما لم يكونوا يعملونه؛ أي: إن نُردد نعمل غير الذي كنا نعمل كأنه قال: أو هل نرد فنعمل(١).

ويجوز أن يكون الاستفهام في هذا الجزء من الآية الكريمة حقيقياً، يقوله بعضهم لبعض، لعل أحدهم يرشدهم إلى مُخَلِّصٍ لهم من تلك الورطة، وهذا القول يقولونه في ابتداء رؤية ما يهددهم قبل أن يوقنوا بانتفاء الشفعاء المحكي عنهم في قوله تعالى:﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ الشُّعَرَاء: ١٠٠، ١٠١، ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في النفي، على معنى التحسر والتندم(٢).

ومثل هذه الآية قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ غافر: ١١.

ومثل آية غافر بدون زيادة "من" قوله تعالى:﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ الشورى:٤٤.

ومن التمني بـــ" هل" قوله تعالى: ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ الشعراء: ٢٠٢، ٢٠٣.

وقد يتداخل التمني مع النفي، مع الاستبعاد، مع جواز حمل الاستفهام

---

(١) راجع: المحتسب لابن جني١/٢٥٢، ومفاتيح الغيب١٤/٢٥٤، والبرهان في علوم القرآن٢/٣٢١.

(٢) راجع: حاشية الطيبي على الكشاف٦/٤٠١، والتحرير والتنوير٨/١٥٦.

على الحقيقة، كما في قوله تعالى حكاية عن رد جهنم:﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ق: ٣٠، يقول الزمخشري – رحمه الله –: وفيه معنيان، أحدهما: أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء، ولا يُزاد على امتلائها، لقوله تعالى:﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾، والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها، وفيها موضع للمزيد، ويجوز أن يكون {هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} استكثاراً للداخلين فيها واستبداعاً للزيادة عليهم لفرط كثرتهم، أو طلباً للزيادة غيظاً على العصاة(١).

وقد جعله الطاهر – رحمه الله – للتشويق والتمني، يقول: والاستفهام في {هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} مستعمل للتشويق والتمني(٢).

مجيء هل بمعنى الإنكار:

الإنكار معنىً من معاني الاستفهام، يأتي بمعنى النفي، ويأتي بمعنى التوبيخ، ويكون مع الماضي، ويكون مع المضارع، والذي يكون منه بمعنى النفي يكون معناه مع الماضي: لم يكن، ومعناه مع المضارع: لا يكون، أو لن يكون، والذي يكون منه بمعنى التوبيخ، يكون معناه مع الماضي: ما كان ينبغي، ويكون معناه مع المضارع: لا ينبغي...

وقد ورد منه بـــ"هل" في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر: ٣٨.

فالمشركون كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام لها القدرة على نفعهم

---

(١) راجع: الكشاف٤/٢٧٣.

(٢) راجع: التحرير والتنوير٢٦/٣١٨.

وضرهم، فجاء القرآن؛ لينكر عليهم ذلك، ويبين لهم أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر، وأنهم كاذبون في اعتقادهم هذا، وأن مثله ما كان، ولن يكون، فما كان عليهم أن يعتقدوا هذا.

ومن الإنكار بـــ"هل" قوله تعالى:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ ق: ٣٦.

ونَقَّبُوا – وقرئ بالتخفيف–: خرقوا في البلاد ودوّخوا، والتنقيب: التنقير عن الأمر والبحث والطلب، قال الحرث بن حلزة:

نَقَّبُوا فِي البِلادِ مِنْ حَــذَرِ المَــوْ ∴ تِ وجَالُوا فِــي الأَرْضِ كُــلَّ مَجَــالِ

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: ﴿ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ ، أي: شدّة بطشهم أبطرتهم، وأقدرتهم على التنقيب، وقوّتهم عليه، ويجوز أن يراد: فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون، فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم، وقرئ بكسر القاف مخففة؛ من النقب، وهو أن يتنقب خف البعير، قال: ما مسّها من نَقِبٍ ولا دَبَر... والمعنى: فنقِبَت أخفاف إبلهم، أو: حفيت أقدامهم ونقبت، كما تنقب أخفاف الإبل، لكثرة طوفهم في البلاد، {هَلْ مِنْ مَحِيصٍ} من الله، أو: من الموت. والْمَحِيصُ: كَالْمَحِيدِ غير أن الْمَحِيصَ مَعْدَلٌ وَمَهْرَبٌ عَنِ الشِّدَّةِ، يدلك عليه قولهم: وَقَعُوا فِي حَيْصَ بَيْصَ، أي: في شدة وضيق، والْمَحِيدُ مَعْدَلٌ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ بِالِاخْتِيَارِ يُقَالُ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ نَظَرًا، وَلَا يُقَالُ حَاصَ عَنِ الْأَمْرِ نَظَرًا(١).

والاستفهام في {هَلْ مِنْ مَحِيصٍ} للإنكار بمعنى النفي؛ إذ المعنى: لم يكن لهم من محيص.

---

(١) راجع: الكشاف٤/٢٧٤، ومفاتيح الغيب٢٨/١٥٠.

مجيء هل بمعنى "إنَّ" المؤكدة:

جاءت هل بمعنى إنَّ المؤكدة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ الفجر: ٥.

والمعنى: إنَّ في ذلك لقسم، أي: فيما أقسمت به من هذه الأشياء قَسَمٌ أي: مقسم به لِذِي حِجْرٍ، والحِجْرُ: العقل، لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي، كما سمى عقلاً ونُهْيَةً؛ لأنه يعقل وينهى، وحصاة: من الإحصاء، وهو الضبط. وقال الفراء: يقال: إنه لذو حجر، إذا كان قاهراً لنفسه، ضابطاً لها، والمقسم عليه محذوف وهو "لَيُعَذَّبُنَّ"، يدل عليه قوله: {أَلَمْ تَرَ} إلى قوله: {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ}، والمراد من الاستفهام التأكيد، كمن ذكر حُجَّةً باهرة، ثم قال: هل فيما ذكرتُه حُجَّةٌ؟ وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ كَانَ ذَا لُبٍّ عَلِمَ أَنَّ مَا أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِيهِ عَجَائِبُ وَدَلَائِلُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُقْسِمَ بِهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى خَالِقِهِ(١).

تمَّ بحمد الله وتوفيقه

(١) راجع: الكشاف٤/٥٨٦، ومفاتيح الغيب٣١/١٥١.

فهرس المراجع

١-الأصول في النحو لابن السراج – تحقيق/ عبد الحسين الفتلي – نشر: مؤسسة الرسالة.

٢-الأطول لعصام الدين الإسفراييني– تقديم د/ هاشم محمد هاشم– نشر: المكتبة الزهرية بالقاهرة.

٣-الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي – ط/ دار الكتب المصرية.

٤-أمالي ابن الشجري – تحقيق/محمود محمد الطناحي – نشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٥-الإيضاح للخطيب القزويني– تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي– ط/ دار الجيل – بيروت– ط/ثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٦-البحر المحيط لأبي حيان – تحقيق/ صدقي محمد جميل – ط/دار الفكر – بيروت.

٧-البديع في علم العربية لمجد الدين بن الأثير – تحقيق د/فتحي أحمد عليّ الدين – نشر: جامعة أم القرى – السعودية.

٨-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة– تحقيق/ إبراهيم شمس الدين – ط/ دار الكتب العلمية – بيروت.

٩-التبيان في إعراب القرآن للعكبري – نشر: مكتبة اسامة الإسلامية بمصر.

١٠-التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور– نشر: الدار التونسية للنشر – تونس.

١١-تسهيل الفوائد لابن مالك – تحقيق د/ محمد كامل بركات – نشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

١٢-تفسير القرآن العظيم لابن كثير– نشر: مكتبة دار التراث– القاهرة.

١٣-تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحمد بن يوسف الحلبي "ناظر

الجيش" تحقيق/ علي محمد فاخر وآخرون – نشر: دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة.

١٤-تهذيب اللغة للأزهري – تحقيق/ محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي.

١٥-جامع البيان في تأويل القرآن للطبري – تحقيق/ أحمد محمد شاكر – نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٦-جمهرة اللغة لابن دريد- تحقيق/ رمزي منير بعلبكي – ط/دار العلم للملايين – بيروت.

١٧-الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي – تحقيق/ فخر الدين قباوة- ط/دار الكتب العلمية.

١٨-حاشية الدسوقي "ضمن شروح التلخيص" – ط/دار الإرشاد الإسلامي – بيروت.

١٩-حروف المعاني والصفات للزَجّاجي – تحقيق/علي توفيق الحمد – نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٠-خزانة الأدب للبغدادي – تحقيق الشيخ/ محمد عبد السلام هارون – نشر: مكتبة الخانجي القاهرة.

٢١-الخصائص لابن جني- نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢-شرح التسهيل لابن مالك- تحقيق د/ عبد الرحمن السيد، ود/ محمد بدوي- نشر: دار هجر – بيروت.

٢٣-شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي- تحقيق/ غريد الشيخ – ط/دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٤-شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي- تحقيق/ أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي- ط/ دار الكتب العلمية.

٢٥-عروس الأفراح للسبكي "ضمن شروح التلخيص.
٢٦-علل النحو لابن الوراق – تحقيق/ محمود جاسم محمد – نشر: مكتبة الرشد – الرياض.
٢٧-غريب القرآن لابن قتيبة – تحقيق/ أحمد صقر – ط/دار الكتب العلمية.
٢٨-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي – تحقيق/ إياد محمد الغوج – نشر: دبي.
٢٩-الكافية لابن الحاجب – تحقيق د/صالح عبد العظيم الشاعر – نشر: مكتبة الآداب – القاهرة.
٣٠-الكتاب لسيبويه – تحقيق الأستاذ/عبد السلام محمد هارون – نشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.
٣١-الكشاف للزمخشري – شرح/ يوسف الحمادي – نشر: مكتبة مصر.
٣٢-اللمع لابن جني– تحقيق/ فائز فارس – نشر: دار الكتب الثقافية – الكويت.
٣٣-المحتسب لابن جني – نشر: وزارة الأوقاف – مصر.
٣٤-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية – ط/عبد السلام عبد الشافي محمد– دار الكتب العلمية.
٣٥-المخصص لابن سِيدَه – تحقيق/ خليل إبراهيم جفّال – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٦-المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل– تحقيق د/ محمد كامل بركات – دار الفكر – دمشق.
٣٧-معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي – تحقيق/ عبد الرزاق المهدي – ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٨-معاني القرآن للفراء – تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي، وآخرين – نشر:

دار المصرية للتأليف والترجمة بمصر.
٣٩-معاني النحو د/فاضل صالح السامرائي – نشر: دار الفكر – الأردن.
٤٠-مغني اللبيب لابن هشام – تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد- نشر: المكتبة العصرية – بيروت.
٤١-مفاتيح الغيب للرازي – ط/دار إحياء التراث العربي.
٤٢-مفتاح العلوم- تحقيق/ نعيم زرزور – ط/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٣-مقاييس اللغة لابن فارس- تحقيق ا/ محمد عبد السلام هارون – ط/دار الفكر – بيروت.
٤٤-المقتضب للمبرد – تحقيق/ معمد عبد الخالق عضيمة- ط/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٥-منازل الحروف للرماني – تحقيق/ إبراهيم السامرائي – نشر: دار الفكر – عمان.
٤٦-المفصل في علم العربية للزمخشري- تحقيق د/فخر صالح قدارة – نشر: دار عمار للطباعة والنشر- عمان- الأردن.
٤٧-الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي – تحقيق/ السيد أحمد صقر – نشر: دار المعارف – مصر.
٤٨-مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي "ضمن شروح التلخيص".
٤٩-النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير – تحقيق/طاهر أحمد الراوي- نشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٥٠-همع الهوامع للسيوطي تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي- نشر: المكتبة التوفيقية- القاهرة.

References

1. **Al-Usul fi al-Nahw** by Ibn al-Sarraj. Edited by Abdul Hussein al-Fatli. Published by Al-Resala Foundation.
2. **Al-Atwal** by Isam al-Din al-Isfara'ini. Introduction by Dr. Hashem Muhammad Hashem. Published by Al-Zahriya Library, Cairo.
3. **Al-Iqtisab fi Sharh Adab al-Kutub** by al-Batlayusi. Published by Dar al-Kutub al-Misriya.
4. **Amali Ibn al-Shajari**. Edited by Mahmoud Muhammad al-Tanahi. Published by Maktabat al-Khanji, Cairo.
5. **Al-Idah** by al-Khatib al-Qazwini. Edited by Dr. Muhammad Abdul Moneim Khafagi. 3rd Edition, Dar al-Jeel, Beirut, 1414 AH / 1993 CE.
6. **Al-Bahr al-Muhit** by Abi Hayyan. Edited by Sidqi Muhammad Jamil. Dar al-Fikr, Beirut.
7. **Al-Badi' fi Ilm al-Arabiya** by Majd al-Din Ibn al-Athir. Edited by Dr. Fathi Ahmed Ali al-Din. Published by Umm al-Qura University, Saudi Arabia.
8. **Ta'wil Mushkil al-Quran** by Ibn Qutayba. Edited by Ibrahim Shams al-Din. Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut.
9. **Al-Tibyan fi I'rab al-Quran** by al-Ukbari. Published by Maktabat Usama al-Islamiya, Egypt.
10. **Al-Tahrir wa al-Tanwir** by al-Tahir ibn Ashour. Published by Al-Dar al-Tunisiya lil-Nashr, Tunis.
11. **Tashil al-Fawa'id** by Ibn Malik. Edited by Dr. Muhammad Kamil Barakat. Published by Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut.
12. **Tafsir al-Quran al-Azim** by Ibn Kathir. Published by Maktabat Dar al-Turath, Cairo.
13. **Tamhid al-Qawa'id bi Sharh Tashil al-Fawa'id** by Muhammad ibn Yusuf al-Halabi "Nazir al-Jaysh". Edited by Ali Muhammad Fakher et al. Published by

Dar al-Salam lil-Tibaa wal-Nashr, Cairo.
14. **Tahdhib al-Lugha** by al-Azhari. Edited by Muhammad Awad Mur'ib. Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.
15. **Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Quran** by al-Tabari. Edited by Ahmad Muhammad Shakir. Published by Al-Resala Foundation, Beirut.
16. **Jamharat al-Lugha** by Ibn Durayd. Edited by Ramzi Munir Baalbaki. Dar al-Alam lil-Malayin, Beirut.
17. **Al-Jina al-Dani fi Huruf al-Ma'ani** by al-Muradi. Edited by Fakhr al-Din Qabawa. Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
18. **Hashiyat al-Dusuqi** (within Shuruh al-Talkhis). Dar al-Irshad al-Islami, Beirut.
19. **Huruf al-Ma'ani wal-Sifat** by al-Zajjaji. Edited by Ali Tawfiq al-Hamad. Published by Al-Resala Foundation, Beirut.
20. **Khazanat al-Adab** by al-Baghdadi. Edited by Sheikh Muhammad Abdul Salam Haroun. Published by Maktabat al-Khanji, Cairo.
21. **Al-Khasa'is** by Ibn Jinni. Published by The Egyptian General Book Organization.
22. **Sharh al-Tashil** by Ibn Malik. Edited by Dr. Abdul Rahman al-Sayyid and Dr. Muhammad Badawi. Published by Dar Hajar, Beirut.
23. **Sharh Hamasat Abi Tammam** by al-Marzuqi. Edited by Gharid al-Sheikh. Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut.
24. **Sharh Kitab Sibawayh** by Abu Said al-Sirafi. Edited by Ahmad Hasan Mahdali, Ali Sayyid Ali. Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
25. **Arus al-Afrah** by al-Subki (within Shuruh al-Talkhis).
26. **Ilal al-Nahw** by Ibn al-Warraq. Edited by Mahmoud Jasim Muhammad. Published by Maktabat al-Rushd, Riyadh.

27. **Gharib al-Quran** by Ibn Qutayba. Edited by Ahmad Saqr. Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
28. **Futuh al-Ghayb fi al-Kashf an Qina al-Rayb** by al-Tibi. Edited by Iyad Muhammad al-Ghouj. Published in Dubai.
29. **Al-Kafiya** by Ibn al-Hajib. Edited by Dr. Salih Abdul Azim al-Sha'ir. Published by Maktabat al-Adab, Cairo.
30. **Al-Kitab** by Sibawayh. Edited by Professor Abdul Salam Muhammad Haroun. Published by Maktabat al-Khanji, Cairo.
31. **Al-Kashshaf** by al-Zamakhshari. Commentary by Yusuf al-Hammadi. Published by Maktabat Misr.
32. **Al-Luma'** by Ibn Jinni. Edited by Faiz Faris. Published by Dar al-Kutub al-Thaqafiya, Kuwait.
33. **Al-Muhtasab** by Ibn Jinni. Published by the Ministry of Awqaf, Egypt.
34. **Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz** by Ibn Atiya. Edited by Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad. Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
35. **Al-Mukhassas** by Ibn Sida. Edited by Khalil Ibrahim Juffal. Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut.
36. **Al-Musa'id ala Tashil al-Fawa'id** by Ibn Aqil. Edited by Dr. Muhammad Kamil Barakat. Dar al-Fikr, Damascus.
37. **Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Quran** by al-Baghawi. Edited by Abdul Razzaq al-Mahdi. Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut.
38. **Ma'ani al-Quran** by al-Farra'. Edited by Ahmad Yusuf al-Najjati et al. Published by Al-Dar al-Misriya lil-Ta'lif wal-Tarjama, Egypt.
39. **Ma'ani al-Nahw** by Dr. Fadil Salih al-Samarra'i. Published by Dar al-Fikr, Jordan.
40. **Mughni al-Labib** by Ibn Hisham. Edited by

Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid. Published by Al-Maktabat al-Asriya, Beirut.

41. **Mafatih al-Ghayb** by al-Razi. Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.
42. **Muftah al-Ulum**. Edited by Na'im Zarzour. Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut.
43. **Maqayis al-Lugha** by Ibn Faris. Edited by Professor Muhammad Abdul Salam Haroun. Dar al-Fikr, Beirut.
44. **Al-Muqtadab** by al-Mubarrad. Edited by Muhammad Abdul Khaliq Udhayma. Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut.
45. **Manazil al-Huruf** by al-Rummani. Edited by Ibrahim al-Samarra'i. Published by Dar al-Fikr, Amman.
46. **Al-Mufassal fi Ilm al-Arabiya** by al-Zamakhshari. Edited by Dr. Fakhr Salih Qaddara. Published by Dar Ammar lil-Tibaa wal-Nashr, Amman, Jordan.
47. **Al-Muwazana bayna Shi'r Abi Tammam wal-Buhturi** by al-Amidi. Edited by Sayyid Ahmad Saqr. Published by Dar al-Ma'arif, Egypt.
48. **Mawahib al-Fattah** by Ibn Ya'qub al-Maghribi (within Shuruh al-Talkhis).
49. **Al-Nihaya fi Gharib al-Hadith wal-Athar** by Majd al-Din Ibn al-Athir. Edited by Tahir Ahmad al-Rawi. Published by Al-Maktabat al-Ilmiya, Beirut.
50. **Ham' al-Hawami'** by al-Suyuti. Edited by Dr. Abdul Hamid Hindawi. Published by Al-Maktabat al-Tawfiqiya, Cairo.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٤٩٥
"هل" بين الأصالة والاستعمال	١٤٩٧
" هل" بين الاستفهام و" قد"	١٥١٢
معاني "هل" في اللغة والقرآن	١٥٢٦
"هل" في القرآن الكريم	١٥٣٤
فهرس المراجع	١٥٧٠
فهرس الموضوعات	١٥٧٨